

## سورة الإسراء

1- مكية وهي مائة وإحدى عشرة آية . " سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً " سبحان الله : تنزيه الله تعالى من كل سوء ، ووصفه بالبراءة من كل نقص على طريق المبالغة ، ويكون " سبحان " بمعنى التعجب ، " أسرى بعبده " أي : سيره ، وكذلك أسرى به ، والعبد هو : محمد صلى الله عليه وسلم . " من المسجد الحرام " ، قيل : كان الإسراء من مسجد مكة ، روى قتادة عن أنس عن مالك ابن صعصعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل بالبراق " ، فذكر حديث المعراج . وقال قوم : عرج به من دار أم هانئ بنت أبي طالب ، ومعنى قوله : " من المسجد الحرام " أي : من الحرم . قال مقاتل : كانت ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة . ويقال : كان في رجب . وقيل : كان في شهر رمضان . " إلى المسجد الأقصى " ، يعني : بيت المقدس ، وسمي أقصى لأنه أبعد المساجد التي تزار . وقيل : لبعده من المسجد الحرام . " الذي باركنا حوله " ، بالأنهار والأشجار والثمار . وقال مجاهد : سماه مباركاً لأنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة والوحي ، ومنه يحشر الناس يوم القيامة . " لنريه من آياتنا " ، من عجائب قدرتنا ، وقد رأى هناك الأنبياء والآيات الكبرى . " إنه هو السميع البصير " ، ذكر ( السميع ) لينبه على أنه المجيب لدعائه ، وذكر ( البصير ) لينبه على أنه الحافظ له في ظلمة الليل . وروى عن عائشة رضي الله عنه أنها كانت تقول : ما فقد جسد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن الله أسرى بروحه . والأكثر من على أنه بجسده في اليقظة ، وتواترت الأخبار الصحيحة على ذلك . أخبرنا أبو عمر عبد الواحد بن أحمد المليحي ، أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبد الله النعيمي ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يوسف ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، حدثنا هدية بن خالد ، حدثنا همام بن يحيى حدثنا قتادة ( ح ) قال البخاري : وقال لي خليفة العصفري : حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد و هشام . قال : حدثنا قتادة ( ح ) عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم ، حدثهم عن ليلة أسرى به ، ( ح ) قال البخاري : حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث ، عن يونس عن ابن شهاب عن أنس قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( ح ) ، وأخبرنا أبو سعيد إسماعيل بن عبد القاهر ، أخبرنا أبو الحسن عبد الغفار بن محمد [ الفارسي أنبأنا أبو الحسين محمد بن عيسى الجلودي ، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد [ بن سفيان ، حدثنا أبو الحسين مسلم بن الحجاج ، حدثنا شيبان بن فروخ ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال - [ دخل حديث بعضهم في بعض - قال أبو ذر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [ " فرج عني سقف بيتي ، وأنا بمكة ، فنزل جبريل ففرج صدري ، ثم غسله

## سورة الإسراء

بماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً ، فأفرغه في صدري ، ثم أطبقه " . وقال مالك بن صعصعة : إن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسري به قال : " بينما أنا في الحطيم ، وربما قال في الحجر ، بين النائم واليقظان ، وذكر بين رجلين ، فأتيت بطست من ذهب مملوء حكمة وإيماناً فشق من النحر إلى مرق البطن ، واستخرج قلبي فغسل ثم حشي ، ثم أعيد " . وقال سعيد و هشام : ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملئ إيماناً وحكمةً ، ثم أوتيت بالبراق ، وهو دابة أبيض طويل ، فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفه ، فركبته فانطلقت مع جبريل حتى أتيت بيت المقدس ، قال : فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء ، قال : ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت ، فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن ، فاخترت اللبن ، فقال جبريل : اخترت الفطرة ، فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح ، قيل من هذا ؟ قال : جبريل : قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ، فنعم المجيء جاء ، ففتح ، فلما خلصت ، فإذا فيها آدم ، فقال لي : هذا أبوك آدم ، فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم قال : مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح . وفي حديث أبي ذر : علونا السماء الدنيا ، فإذا رجل قاعد عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة ، إذا نظر قبل يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى ، فقال : مرحباً بالنبي الصالح ، والابن الصالح . قلت لجبريل : من هذا ؟ قال : هذا آدم وهذه الأسودة التي عن يمينه وشماله نسمة بنيه ، فأهل اليمين منهم أهل الجنة ، والأسودة التي عن شماله أهل النار ، فإذا نظر عن يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى . ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به فنعم المجيء جاء ، ففتح ، فلما خلصت ، إذا بيحيى وعيسى ، عليهما السلام ، وهما ابنا خالة ، قال : هذا يحيى وعيسى ، فسلم عليهما ، فسلمت فردا ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح . ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قال : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به فنعم المجيء جاء ، ففتح ، فلما خلصت فإذا إدريس ، قال هذا إدريس فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح

## سورة الإسراء

والنبي والصالح . ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح  
 قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ،  
 قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ، فنعم  
 المجيء جاء ، فلما خلصت فإذا هارون ، قال : هذا هارون فسلم  
 عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح ، والنبي  
 الصالح . ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل :  
 من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل :  
 وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ، فنعم المجيء جاء ،  
 فلما خلصت فإذا موسى ، قال : هذا موسى فسلم عليه ، فسلمت  
 عليه فرد ثم قال : مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح ، فلما  
 جاوزت بكى قيل له : ما يبكيك ؟ قال : أبكي لأن غلاماً بعث بعدي  
 يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي . ثم صعد بي إلى  
 السماء السابعة ، فاستفتح جبريل ، قيل : من هذا ؟ قال جبريل ،  
 قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال :  
 نعم ، قيل : مرحباً به فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت فإذا إبراهيم  
 ، قال : هذا أبوك إبراهيم ، فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد السلام  
 ، ثم قال : مرحباً بالنبي الصالح ، والابن الصالح ، فرفع لي البيت  
 المعمور ، فسألت جبريل ؟ فقال : هذا البيت المعمور يصلي فيه  
 كل يوم سبعون ألف ملك ، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم .  
 وقال ثابت عن أنس : فإذا أنا بإبراهيم مسند ظهره إلى البيت  
 المعمور ، إذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه  
 ، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر ، وإذا  
 ورقها مثل أذان الغيلة ، قال : فلما غشيها من أمر الله ما غشي  
 تغيرت ، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها ، في  
 أصلها أربعة أنهار : نهران باطنان ، ونهران ظاهران ، فقلت : ما  
 هذان يا جبريل ؟ فقال : أما الباطنان ، فنهران في الجنة ، وأما  
 الظاهرات فالنيل والفرات . وأوحى إلي ما أوحى ، ففرض علي  
 خمسين صلاةً في كل يوم وليلة ، فنزلت إلى موسى ، فقال : ما  
 فرض ربك علي أمتك ؟ قلت : خمسين صلاة ، قال : ارجع إلى ربك  
 فاسأله التخفيف ، فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فإني قد بلوت بني  
 إسرائيل وخبرتهم ، قال : فرجعت إلى ربي فقلت : يا رب خفف  
 علي أمتي ، فحط عني خمسا ، فرجعت إلى موسى فقلت : حط  
 عني خمسة ، قال : إن أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فاسأله  
 التخفيف . قال : فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى حتى قال :  
 يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة ، لكل صلاة عشر ، هي  
 خمس وهي خمسون ، لا يبدل القول لدي ، ومن هم بحسنة فلم  
 يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشراً ، ومن هم  
 بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً ، فإن عملها كتبت سيئة واحدة .  
 قال : فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته ، فقال : ارجع إلى  
 ربك فاسأله التخفيف لأمتك . فقلت : سألت ربي حتى استحيت

## سورة الإسراء

ولكني أرضى وأسلم ، قال : فلما جاوزت نادي مناد : أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي ، ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك . قال ابن شهاب : فأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري ، كانا يقولان : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى فيه صريف الأقدام " . قال ابن حزم و أنس : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " ففرض الله على أمتي خمسين صلاة " . وروى معمر عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم : " أتى بالبراق ليلة أسرى به ملجماً مسرجاً ، فاستصعب عليه ، فقال جبريل : أيمحمد تفعل هذا ؟ فما ركبك أحد أكرم على الله منه ، فافرض عرقاً " . وقال ابن بريده عن أبيه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " لما انتهينا إلى بيت المقدس قال جبريل بأصبعه ، فخرق بها الحجر وشد بها البراق " . أنبأنا عبد الواحد المليحي ، أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثني محمود ، أنبأنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر عن الزهري ، أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ليلة أسرى بي لقيت موسى ، قال : فنعته ، فإذا هو رجل - حسبته قال : مضطرب - رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة . قال : ولقيت عيسى ، فنعته النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ربة ، أحمر ، كأنما خرج من ديماس ، يعني : الحمام ، ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به ، قال : وأتيت بإناءين : أحدهما لبن ، والآخر فيه خمر ، فقيل له : خذ أيهما شئت ، فأخذت اللبن فشربته ، فقيل لي : هديت الفطرة [ أو أصبت الفطرة ] ، أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك " . أنبأنا عبد الواحد المليحي ، حدثنا أحمد بن عبد الله النعيمي ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا الحميدي ، حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : " وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس " ، قال : هي رؤيا عين أريها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به إلى بيت المقدس . قال : والشجرة الملعونة في القرآن قال : هي شجرة الزقوم " . أخبرنا عبد الواحد المليحي ، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله ، حدثني سليمان ، عن شريك بن عبد الله قال : سمعت أنس بن مالك يقول : ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر ، قبل أن يوحى إليه ، وهو نائم في المسجد الحرام ، فقال أولهم : أيهم هو ؟ فقال : أوسطهم هو خيرهم ، فقال آخرهم : خذوا خيرهم ، فكانت تلك الليلة فلم يرههم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه ، وتنام عينه ، ولا ينال قلبه ، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ، ولا تنام قلوبهم ، فلم يكلموه حتى احتملوه ووضعوه عند بئر زمزم ، فشق جبريل ما بين نحره

## سورة الإسراء

إلى لبتة حتى فرغ من صدره وجوفه ، فغسله من ماء زمزم بيده .  
وساق حديث المعراج بقصته . فقال : فإذا هو في السماء الدنيا  
بنهرين يطردان ، قال : هذا النيل والفرات ، عنصرهما واحد ، ثم  
مضى به في السماء الثانية ، فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ  
وزبرجد ، فضرب يده فإذا هو مسك أذفر ، قال : ما هذا يا جبريل ؟  
قال : هذا الكوثر الذي خبا لك ربك . وساق الحديث ، وقال : ثم  
عرج بي إلى السماء السابعة ، وقال : قال موسى : رب لم أظن  
أن ترفع علي أحداً ، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعمله إلا الله حتى  
جاء سدرة المنتهى ، ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه  
قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إليه فيما يوحى إليه الله خمسين  
صلاة كل يوم وليلة ، وقال : فلم يزل يردده موسى إلى ربه حتى  
صارت إلى خمس صلوات ، ثم احتبس موسى عند الخمس ، فقال  
: يا محمد والله لقد راودت بني إسرائيل قومي علي أدنى من هذا  
فضعفوا عنه وتركوه ، فأمتك أضعف قلوباً وأجساداً وأبداناً  
وأبصاراً وأسماعاً ، فارجع فليخفف عنك ربك ، كل ذلك يلتفت  
النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل ليشير عليه ، ولا يكره ذلك  
جبريل ، فرفعه عند الخامسة ، فقال : يا رب إن أمتي ضعفاء  
أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبدانهم فخفف عنا ، فقال الجبار  
: يا محمد ، قال : لبيك وسعديك ، قال : إنه لا يبدل القول لدي ،  
كما فرضت عليك في أم الكتاب ، فكل حسنة بعشر أمثالها ، فهي  
خمسون في أم الكتاب ، وهي خمس عليك ، فقال موسى : ارجع  
إلى ربك فليخفف عنك أيضاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم : قد والله استحييت من ربي مما اختلفت إليه ، قال :  
فاهبط بسم الله . فاستيقظ وهو في المسجد الحرام . وروى  
مسلم هذا الحديث مختصراً عن هارون بن سعيد الإيلي ، عن ابن  
وهب ، عن سليمان ابن بلال . قال شيخنا الإمام رضي الله عنه :  
قد قال بعض أهل الحديث ما وجدنا ل محمد بن إسماعيل و ل  
مسلم في كتابيهما شيئاً لا يحتمل مخرجاً إلا هذا ، وأحال الأمر فيه  
إلى شريك بن عبد الله ، وذلك أنه ذكر فيه أن ذلك قبل أن يوحى  
إليه ، واتفق أهل العلم على أن المعراج كان بعد الوحي بنحو من  
اثنتي عشرة سنة قبل الهجرة بسنة . وفيه أيضاً : ( أن الجبار دنا  
فتدلى ) . وذكرت عائشة أن الذي دنا فتدلى جبريل عليه السلام .  
قال شيخنا الإمام رضي الله عنه : وهذا الاعتراض عندي لا يصح ،  
لأن هذا كان رؤيا في النوم ، أراه الله عز وجل قبل الوحي ، بدليل  
آخر الحديث : قال فاستيقظ وهو في المسجد الحرام ، ثم عرج به  
في اليقظة بعد الوحي قبل الهجرة بسنة تحقيقاً لرؤياه من  
قبل ، كما أنه رأى فتح مكة في المنام عام الحديبية سنة ست من  
الهجرة ، ثم كان تحقيقه سنة ثمان ونزل قوله عز وجل : " لقد  
صدق الله رسوله الرؤيا بالحق " ( الفتح - 27 ) وروي أنه لما رجع  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به وكان بذي طوى

## سورة الإسراء

قال : يا جبريل إن قومي لا يصدقوني ، قال : يصدقك أبو بكر وهو الصديق . قال ابن عباس ، وعائشة ، رضي الله عنهم ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما كانت ليلة أسري بي فأصبحت بمكة فضنقت بأمرى وعرفت أن الناس مكذبي ، فروي أنه عليه الصلاة والسلام قعد معتزلاً حزيناً ، فمر به أبو جهل فجلس إليه فقال له كالمستهزئ : هل استغدت من شيء ؟ قال : نعم إني أسري بي الليلة قال : إلى أين ؟ قال : إلى بيت المقدس ، قال : ثم أصبحت بين ظهرانينا ، قال : نعم ، فلم ير أبو جهل أنه ينكر ، مخافة أن يجده الحديث ، قال : أتحدث قومك ما حدثتني ؟ قال : نعم ، قال أبو جهل : يا معشر بني كعب بن لؤي هلموا ، قال : فانفضت إليه المجالس فجاؤوا حتى جلسوا إليهما ، قال : فحدث قومك ما حدثتني قال : نعم إني أسري بي الليلة ، قالوا إلى أين ؟ قال : إلى بيت المقدس ، قالوا : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال : نعم ، قال : فمن بين مصفق ، ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً ، وارتد ناس ممن كان آمن به وصدقوه ، وسعى رجل من المشركين إلى أبي بكر فقال : هل لك في صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس ، قال : أوقد قال ذلك ؟ قال : نعم ، قال : لئن كان قال ذلك لقد صدق ، قالوا : وتصدق أنه ذهب إلى بيت المقدس في ليلة وجاء قبل أن يصبح ؟ قال : نعم ، إني لأصدق به بما هو أبعد من ذلك ، أصدق به بخبر السماء في غدوة أو روحة ، فلذلك سمي أبو بكر الصديق . قال : وفي القوم من قد أتى المسجد الأقصى ، فقالوا : هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد ؟ قال : نعم ، قال : ذهبت أنعت وأنعت ، فمازلت أنعت حتى التيس علي [ بعض النعت ] ، قال : فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضع دون دار عقيل فنعت المسجد ، وأنا أنظر إليه ، فقال القوم : أما النعت فوالله لقد أصاب ، ثم قالوا : يا محمد أخبرنا عن غيرنا هي أهم إلينا ، فهل لقيت منها شيئاً ؟ قال : نعم مررت على غير بني فلان ، وهي بالروحاء ، وقد أضلوا بعيرا لهم ، وهم في طلبه ، وفي رجالهم قدح من ماء فعطشت فأخذته فشربته ، ثم وضعت كما كان فسلوهم هل وجدوا الماء في القدح حين رجعوا إليه ؟ قالوا : هذه آية ، قال : ومررت بعير بني فلان ، وفلان وفلان راكبان قعوداً لهما بذي طوى ، فنفر بعيرهما مني فرمى بفلان ، فانكسرت يده ، فسلوهما عن ذلك ، قالوا : وهذه آية . قالوا : فأخبرنا عن غيرنا نحن ؟ قال : مررت بها بالتنعيم ، قالوا : فما عدتها وأعمالها وهيئتها ومن فيها ؟ فقال : نعم ، هيئتها كذا وكذا ، وفيها فلان وفلان ، يقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخيطتان ، تطلع عليكم عند طلوع الشمس ، قالوا وهذه آية . ثم خرجوا يشتمون نحو الثنية وهم يقولون : والله لقد قص محمد شيئاً وبينه حتى أتوا كدي ، فجلسوا عليه فجعلوا ينتظرون متى تطلع الشمس فيكذبونه ، إذ قال قائل منهم : والله هذه الشمس قد

## سورة الإسراء

طلعت ، وقال آخر : وهذه والله الإبل قد طلعت ، يقدمها بعير أورق ، فيها فلان وفلان ، كما قال لهم ، فلم يؤمنوا ، " وقالوا : إن هذا إلا سحر مبين " . أنبأنا إسماعيل بن عبد القاهر ، أنبأنا عبد الغافر بن محمد ، أنبأنا محمد بن عيسى الجلودي ، أنبأنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ، حدثنا مسلم بن الحجاج ، حدثني زهير بن حرب ، حدثنا حجر بن المثنى ، أنبأنا عبد العزيز وهو ابن أبي سلمة - عن عبد الله بن الفضل ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة رضي الله عنهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لقد رأيتني في الحجر ، وقريش تسألني عن مسراي ، فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها ، فكربت كرباً ما كربت مثله قط ، قال : فرفعه الله لي أنظر إليه ، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به ، ولقد رأيتني في جماعة من الأنبياء ، فإذا موسى قائم يصلي ، فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة وإذا عيسى قائم يصلي ، أقرب الناس به شبيهاً عروة بن مسعود الثقفي ، وإذا إبراهيم قائم يصلي ، أشبه الناس به صاحبكم - يعني نفسه - فجاءت الصلاة فأممتهم ، فلما فرغت من الصلاة قال لي قائل : يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه . فالتفت إليه فبدأني بالسلام " .

2 - قوله عز وجل : " وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل أن لا " ، بأن لا ، " تتخذوا من دوني وكيلاً " ، رياءً وكفيلاً . قال أبو عمرو ( لا تتخذوا ) بالياء ، لأنه خبر عنهم ، والآخرون : بالتاء ، يعني : قلنا لهم لا تتخذوا .

3 - " ذرية من حملنا " ، قال مجاهد : هذا نداء ، يعني : يا ذرية من حملنا ، " مع نوح " ، في السفينة فأنجيناهم من الطوفان ، " إنه كان عبداً شكوراً " ، كان نوح عليه السلام إذا أكل طعاماً أو شرب شراباً أو لبس ثوباً قال : الحمد لله فسمي عبداً شكوراً ، أي : كثير الشكر .

4 - قوله عز وجل : " وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب " الآيات . روى سفيان بن سعيد الثوري عن منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن بني إسرائيل لما اعتدوا وقتلوا الأنبياء بعث الله عليهم ملكاً فارس ( بختنصر ) ، وكان الله ملكه سبعمئة سنة ، فسار إليهم حتى دخل بيت المقدس ، فحاصرها وفتحها ، وقتل على دم يحيى بن زكريا عليه السلام سبعين ألفاً ، ثم سبى أهلها [ والأبناء ] ، وسلب حلي بيت المقدس ، واستخرج منها سبعين ألفاً ومائة ألف عجلة من حلي ، قلت : يا رسول الله كان بيت المقدس عظيماً؟ قال : أجل بناه سليمان بن داود من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد ، وكان عمده ذهباً ، أعطاه الله ذلك ، وسخر له الشياطين ، يأتونه بهذه الأشياء في طرفه عين ، فسار بها بختنصر حتى نزل

## سورة الإسراء

بابل فأقام بنو إسرائيل في يده مائة سنة يستعبدهم المجوس وأبناء المجوس ، فيهم الأنبياء ، ثم إن الله رحمهم فأوحى إلى ملك من ملوك فارس يقال له ( كورش ) ، وكان مؤمناً ، أن يسير إليهم ليستنقذ بقايا بني إسرائيل ، فسار كورش لبني إسرائيل وأخذ حلي بيت المقدس حتى ردها إليه ، فأقام بنو إسرائيل بها مطيعين لله تعالى مائة سنة ، ثم إنهم عادوا في المعاصي فسلط الله عليهم ملكاً يقال له ( أنطيانوس ) فغزا بني إسرائيل حتى أتاهم بيت المقدس ، فسبى أهلها وأحرق بيت المقدس ، وقال لهم : يا بني إسرائيل إن عدتم في المعاصي عدنا عليكم ثانياً [ بالسبي ] ، فعادوا ، فسلط الله عليهم ملك رومية يقال له ( فاقس بن أستيانوس ) ، فغزاهم في البر والبحر فسباهم وسبى حلي بيت المقدس وأحرق بيت المقدس ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا من صفة حلي بيت المقدس ، ويرده المهدي إلى بيت المقدس ، وهو ألف وسبعمائة سفينة يرمي بها على يافا حتى تنقل إلى بيت المقدس ، وبها يجمع الله الأولين والآخرين " . قال محمد بن إسحاق : كانت بنو إسرائيل فيهم الأحداث والذنوب وكان الله في ذلك متجاوزاً عنهم محسناً إليهم ، وكان أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم كما أخبر على لسان موسى عليه السلام ، أن ملكاً منهم كان يدعى ( صديقة ) وكان الله تعالى إذا ملك الملك عليهم بعث معه نبياً يسدده ويرشده ، لا ينزل عليهم الكتب ، إنما يؤمرون باتباع التوراة والأحكام التي فيها . فلما ملك ذلك الملك بعث الله معه ( شعيا بن أصفيا ) . وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام ، و ( شعيا ) هو الذي بشر بعيسى ومحمد عليهما السلام ، فقال : أبشري أورشليم ، الآن يأتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير ، فملك ذلك الملك بني إسرائيل وبيت المقدس زماناً فلما انقضى ملكه عظمت فيهم الأحداث وشعيا معه ، بعث الله عليهم ( سنجاريب ) ملك بابل ، معه ستمائة ألف راية ، فأقبل سائراً حتى نزل حول بيت المقدس ، والملك مريض ، في ساقه قرحة ، فجاء النبي شعيا وقال له : يا ملك بني إسرائيل إن سنجاريب ملك بابل قد نزل بك ، هو وجنوده بستمائة ألف راية ، وقد هابهم الناس وفرقوا ، فكبر ذلك على الملك ، فقال : يا نبي الله هل أتاك وحي من الله فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وسنجاريب وجنوده ؟ فقال : لم يأتي وحي ، فبينما هم على ذلك أوحى الله إلى شعيا النبي أن أت ملك بني إسرائيل فمره أن يوصي وصيته ويستخلف - على ملكه من يشاء من أهل بيته - فأتى شعيا ملك بني إسرائيل ( صديقة ) فقال له : إن ربك قد أوحى إلي أن أمرك أن توصي وصيتك ، وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك ، فإنك ميت ، فلما قال ذلك شعيا لصديقة أقبل على القبلة فصلى ودعا وبكى ، فقال وهو يبكي وتضرع إلى الله بقلب مخلص :

## سورة الإسراء

اللهم رب الأرباب ، وإله الآلهة ، يا قدوس المتقدس يا رحمن ، يا رحيم ، يا رؤوف ، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، اذكرني بعلمي وفعلي وحسن قضائي على بني إسرائيل ، وذلك كله كان منك وأنت أعلم به مني ، سري وعلايتي لك وأنت الرحمن . فاستجاب له وكان عبداً صالحاً ، فأوحى الله تعالى إلى شعيب أن يخبر صديقه أن ربه قد استجاب له ورحمه ، وأخبره أنه قد استجاب له سنة ، وأنجاه من عدوه سنجاريب ، فأخبره بذلك ، فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجد وانقطع عنه الحزن ، وخر ساجداً ، وقال : يا إلهي وإله آبائي ، لك سجدت وسبحت ، وكبرت ، وعظمت ، أنت الذي تعطي الملك لمن تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء وتذل من تشاء ، عالم الغيب والشهادة ، أنت الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطربين ، وأنت الذي أحببت دعوتي ورحمت تضرعي . فلما رفع رأسه أوحى الله إلى شعيب أن قل للملك صديقه فيأمر عبداً من عبيده فيأتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى ، يصبح وقد برأ ، ففعل وشفي . وقال الملك لشعيب : سل ربك أن يجعل لنا علماً بما هو صانع بعدونا هذا . قال الله لشعيب : قل له : إني قد كفيتك عدوك وأنجيتك منهم ، وإنهم سيصبحون موتى كلهم إلا سنجاريب وخمسة نفر من كتابه . فلما أصبحوا جاء صارخ فصرخ على باب المدينة ، يا ملك بني إسرائيل إن الله قد كفأك عدوك ، فأخرج فإن سنجاريب ومن معه قد هلكوا ، فلما خرج الملك التمس سنجاريب فلم يوجد في الموتى ، فبعث الملك في طلبه فأدركه الطلب في مغارة وخمسة نفر من كتابه أحدهم بختنصر فجعلوهم في الجوامع ثم أتوا بهم إلى ملك بني إسرائيل ، فلما رأهم خر ساجداً من حين طلعت الشمس إلى العصر ، ثم قال لسنجاريب : كيف ترى فعل ربنا بكم ؟ ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون ؟ . فقال سنجاريب له : قد أتاني خبر ربكم ونصره إياكم ورحمته التي يرحمكم بها قبل أن أخرج من بلادي فلم أطع مرشداً ، ولم يلقيني في الشقوة إلا [ ذلة في الدنيا وعذاب في الآخرة ] ، فلو سمعت أو عقلت ما عزوتكم . فقال صديقه : الحمد لله رب العالمين الذي كفاناكم بما شاء ، وإن ربنا لم يبقك ومن معك لكرامتك علي ربك ، ولكنه إنما أبقاك ومن معك لتزدادوا شقوة في الدنيا وعذاباً في الآخرة ، ولتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم فتندروا من بعدكم ، ولولا ذلك لقتلكم ولدمك وولدك من معك أهون على الله من دم قراد ، لو قتلت . ثم إن ملك بني إسرائيل أمر أمير حرسه فقذف في رقابهم الجوامع فطاف بهم سبعين يوماً حول بيت المقدس وإيليا ، وكان يرزقهم كل يوم خبزتين من شعير لكل رجل منهم ، فقال سنجاريب لملك بني إسرائيل : القتل خير مما تفعل بنا . فأمر بهم الملك إلى سجن القتل ، فأوحى الله إلى شعيب عليه السلام : أن

## سورة الإسراء

قل لملك بني إسرائيل يرسل سنجاريب ومن معه لينذروا من وراءهم ، وليكرمهم وليحملهم حتى يبلغوا بلادهم ، فبلغ شعبياء الملك ذلك ففعل [ الملك صديقه ] ما أمر به . فخرج سنجاريب ومن معه حتى قدموا بابل فلما قدموا جمع الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده ، فقال له كهانه وسحرته : يا ملك بابل قد كنا نقص عليك خبر ربهم وخبر نبيهم ووحى الله إلى نبيهم فلم تطعنا ، وهي أمة لا يستطيعها أحد مع ربهم ، وكان أمر سنجاريب تخويفاً لهم ثم كفاهم الله ، تذكرة وعبرة . ثم لبث سنجاريب بعد ذلك سبع سنين ، ثم مات واستخلف بختنصر ، ابن ابنه ، على ما كان عليه جده يعمل عمله ، فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله ملك بني إسرائيل صديقه ، فمرج أمر بني إسرائيل وتنافسوا الملك حتى قتل بعضهم بعضاً ، ونبيهم شعبياء معهم ولا يقبلون منه ، فلما فعلوا ذلك قال الله لشعبياء قم في قومك أوحى على لسانك ، فلما قام النبي شعبياء أنطق الله لسانه بالوحي ، فقال : يا سماء اسمعي ويا أرض أنصتي فإن الله يريد أن يقص شأن بني إسرائيل الذين رباهم بنعمته ، واصطنعهم لنفسه ، وخصهم بكرامته ، وفضلهم على عباده ، وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها ، فأوى شاردها ، وجمع ضالتها ، وجبر كسرهما ، وداوى مريضها ، وأسمن مهزولها ، وحفظ سمينها ، فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها ، فقتل بعضها بعضاً ، حتى لم يبق منها عظم صحيح يجبر إليه آخر كسير ، فويل لهذه الأمة الخاطئة الذين لا يدرون أنى جاءهم الخير أن البعير مما يذكر وطنه فينتابه وأن الحمار مما يذكر الأري الذي شبع عليه فيراجع ، وأن الثور مما يذكر المرح الذي سمن فيه فينتابه ، وأن هؤلاء القوم لا يذكرون من حيث جاءهم الخير وهم أولوا الأبواب والعقول ، ليسوا ببقر ولا حمير وأنى ضارب لهم مثلاً فليسمعوه ، قل لهم : كيف ترون في أرض كانت خواءً زماناً ، خراباً ، مواتاً ، لا عمران فيها ، وكان لها رب حكيم ، فأحاط عليها جداراً ، وشيد فيها قصوراً ، وأنبط نهراً ، وصنف فيها غراساً من الزيتون والرمان والنخيل والأعنان وألوان الثمار كلها ، وولى ذلك واستحفظه ذا رأي وهمة حفيظاً قوياً أميناً ، فلما أطلعت جاء طلعتها خروباً ؟ قالوا بثست الأرض هذه فنرى أن يهدم جدارها وقصرها ويدفن نهراً ويقبض قيمها ويحرق غرسها حتى تصير كما كانت أول مرة خراباً مواتاً لا عمران فيها ، قال الله : قال لهم : فإن الجدار ديني ، وإن القصر شريعتي ، وإن النهر كتابي ، وإن القيم نبيي ، وإن الغراس هم ، وإن الخروب الذي أطلع الغراس أعمالهم الخبيث ، وأنى قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم ، وإنه مثل ضربته لهم ، يتقربون إلي بذبح البقر والغنم ، وليس ينالني اللحم ولا أكله ، ويدعون أن يتقربوا إلي بالتقوى والكف عن ذبح الأنفس التي حرمتها فأيديهم مخصوبة منها وثيابهم متزملة بدمائها ، يشيدون لي

## سورة الإسراء

البيوت مساجد ، ويطهرون أجوافها وينجسون قلوبهم وأجسادهم  
ويدنسونها ، ويزوقون إلي المساجد ، ويزينونها ، ويخربون  
عقولهم وأحلامهم ويفسدونها بأي حاجة لي إلى تشييد البيوت  
ولست أسكنها ؟ وأي حاجة لي إلى تزويق المساجد ولست أدخلها  
؟ إنما أمرت برفعها لأذكر وأسبح فيها. يقولون : صمنا فلم يرفع  
صيامنا [ وصلينا فلم تنور صلاتنا ] وتصدقنا فلم يرك صدقتنا ،  
ودعونا بمثل حنين الحمام وبكينا مثل عواء الذئب في كل ذلك لا  
يستجاب لنا. قال الله : فاسألهم ما الذي يمنعني أن أستجب لهم  
؟ ألسنت أسمع السامعين وأبصر الناظرين وأقرب المحبين  
وأرحم الراحمين ؟ فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور  
ويتقوون عليه بطعمة الحرام ؟ أم كيف أنور صلاتهم وقلوبهم  
صاغية إلى من يحاربنني ويحادني وينتهك محارمي ؟ أم كيف تزكى  
عندي صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم ؟ إنما أجر عليها  
أهلها المعصوبين ؟ أم كيف أستجيب دعاءهم وإنما هو قول  
بألسنتهم ، والفعل من ذلك بعيد ، إنما أستجيب للداعي اللين ،  
وإنما أسمع قول المستعفف المسكين ، وإن من علامة رضاي  
رضا المساكين . يقولون لما سمعوا كلامي وبلغتهم رسالتي :  
إنها أقاويل منقولة ، وأحاديث متوارثة ، وتأليف مما يؤلف السحرة  
والكهنة ، وزعموا أنهم لو شاؤوا أن يأتوا بحديث مثله فعلوا ، ولو  
شاؤوا أن يطلعوا على علم الغيب بما يوحي إليهم الشياطين  
اطلعوا ، وإني قد قضيت يوم خلقت السماء والأرض قضاءً أثبتته  
وحتمته على نفسي ، وجعلت دونه أجلاً مؤجلاً لا بد أنه واقع ، فإن  
صدقوا فيما ينتحلون من علم الغيب فليخبروك متى أنفذه ؟ أو  
في أي زمان يكون ؟ وإن كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاؤون  
، فليأتوا بمثل هذه القدرة التي بها أمضيت فإني مظهره على  
الدين كله ولو كره المشركون ، وإن كانوا يقدرون على أن يقولوا  
ما يشاؤون فليقولوا مثل الحكمة التي بها أدبر أمر ذلك القضاء إن  
كانوا صادقين ، وإني قد قضيت يوم خلقت السماء والأرض أن  
أجعل النبوة في الأجراء ، وأن أجعل الملك في الرعاء ، والعز في  
الأذلاء والقوة في الضعفاء ، والغنى في الفقراء ، والعلم في  
الجهالة ، والحكمة في الأميين فسلهم متى هذا ومن القائم به ،  
ومن أعوان هذا الأمر وأنصاره إن كانوا يعلمون ، فإني باعث لذلك  
نبياً أميناً ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب في الأسواق ، ولا  
متزين بالفحش ، ولا قوال للخنا أسدده لكل جميل ، وأهب له كل  
خلق كريم ، أجعل السكينة لباسه ، والبر شعاره ، والتقوى ضميره  
، والحكمة معقوله ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والمعروف  
خلقه ، والعدل سيرته ، [ والحق شريعته ] والهدى [ والقرآن ]  
إمامه ، والإسلام ملته وأحمد اسمه ، أهدي به بعد الضلالة ، وأعلم  
به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة ، وأشهر به بعد النكره وأكثر به  
بعد القلة ، وأغني به بعد العيلة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف به

## سورة الإسراء

بين قلوب مختلفة ، وأهواء متشعبة وأمم متفرقة ، وأجعل أمتي  
 خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ،  
 توحيداً لي وإيماناً وإخلاصاً لي يصلون قياماً وقيوداً وركعاً  
 وسجوداً ، ويقاتلون في سبيلي صفوفاً وزجواً ، ويخرجون من  
 ديارهم وأموالهم ابتغاء رضواني ألهمهم التكبير والتوحيد  
 والتسبيح والتحميد والمدحة والتمجيد في مسيرهم ومجالسهم  
 ومضاجعهم ومناقبهم ومثوالمهم ، يكبرون ويهللون ويقصدون على  
 رؤوس الأشرف ويظهرون لي الوجوه والأطراف يعقدون لي  
 الثياب على الأنصاف ، قربانهم دماؤهم ، وأناجيلهم في صدورهم  
 ، رهبان بالليل ليوث بالنهار ، ذلك فضلي أوتيه من أشاء وأنا ذو  
 الفضل العظيم . فلما فرغ شعبياء من مقالته عدوا عليه ليقتلوه  
 فهرب منهم ، فلقيته شجرة فانفلقت له فدخل فيها ، فأدركه  
 الشيطان ، فأخذ بهدية من ثوبه فأراهم إياها ، فوضعوا المنشار  
 في وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها ،  
 واستخلف الله على بني إسرائيل بعد ذلك رجلاً منهم يقال له  
 ناشية بن أموص ، وبعث لهم أرمياء بن حلقيا نبياً ، وكان من سبط  
 هارون بن عمران . وذكر ابن إسحاق أنه الخضر واسمه أرمياء ،  
 سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فقام عنها وهي تهتر  
 خضراء . فبعث الله أرمياء إلى ذلك الملك ليسدده ويرشده ثم  
 عظمت الأحداث في بني إسرائيل وركبوا المعاصي واستحلوا  
 المحارم ، فأوحى الله إلى أرمياء أن أنت قومك من بني إسرائيل  
 فاقصص عليهم ما أمرك به وذكرهم نعمتي وعرفهم بأحداثهم ،  
 فقال أرمياء : يا رب إني ضعيف إن لم تقوني ، عاجز إن لم  
 تبلغني ، مخذول إن لم تنصرنني ، قال الله تعالى : أو لم تعلم أن  
 الأمور كلها تصدر عن مشيئتي ، وأن القلوب والألسنة بيدي ألقبها  
 كيف شئت ، إني معك ولن يصل إليك شيء معي ، فقام أرمياء  
 فيهم ولم يدر ما يقول فألهمه الله عز وجل في الوقت خطبة  
 بليغة ، بين فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية ، وقال في آخرها  
 عن الله تعالى : وإني حلفت بعزتي لأقيضن لهم فتنة يتحير فيها  
 الحليم ولأسلطن عليهم جباراً قاسياً ألبسه الهيبة ، وأنزع من  
 صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ، ثم أوحى الله  
 إلى أرمياء : إني مهلك بني إسرائيل بيافت ، وبيافت من أهل بابل  
 - على ما ذكرنا في سورة البقرة - فسلط الله عليهم بختنصر  
 فخرج في ستمائة ألف راية ، ودخل بيت المقدس بجنوده ووطئ  
 الشام ، وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم ، وخرّب بيت المقدس ،  
 وأمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه تراباً ثم يقذفه في بيت  
 المقدس ، ففعلوا ذلك حتى ملؤوه ، ثم أمرهم أن يجمعوا من بني  
 بلدان بيت المقدس كلهم ، فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بني  
 إسرائيل ، فاختر منهم سبعين ألف صبي فلما خرجت غنائم جنده  
 ، وأراد أن يقسمها فيهم قالت له الملوك الذين كانوا معه : أيها

## سورة الإسراء

الملك لك غنائمنا كلها ، واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني إسرائيل ، فقسّمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل رجل مهم أربعة غلمان ، وفرق من بقي من بني إسرائيل ثلاث فرق ، فثلاثاً أقر بالشام ، وثلاثاً سبي ، وثلاثاً قتل ، وذهب بناشئة بيت المقدس وبالصبيان السبعين الألف حتى أقدمهم بابل فكانت هذه الواقعة الأولى التي أنزل الله ببني إسرائيل بظلمهم ، فذلك قوله تعالى : " فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبداً لنا أولي بأس شديد " يعني : بختنصر وأصحابه . ثم إن بختنصر أقام في سلطانه ما شاء الله ثم رأى رؤيا أعجبتة ، إذ رأى شيئاً أصابه فأنساه الله الذي رأى ، فدعاه دانيال وحنانيا وعزازيا وميشائيل ، وكانوا من ذراري الأنبياء وسألهم عنها قالوا أخبرنا بها نخبرك بتأويلها ، قال : ما أذكرها ولئن لم تخبروني بها وتأويلها لأنزعن أكتافكم ، فخرجوا من عنده فدعوا الله وتضرعوا إليه ، فأعلمهم بالذي سألهم عنه ، فجاءوه وقالوا : رأيت تمثالاً قدماه وساقاه من فخار ، وركبناه وفخذه من نحاس ، وبطنه من فضة ، وصدرة من ذهب ، ورأسه وعنقه من حديد ، قال : صدقتم ، قالوا : فبينما أنت تنظر إليه وقد أعجبك أرسل الله تعالى صخرة من السماء فدقته فهي التي أنستكها ، قال : صدقتم ، قال : فما تأويلها ؟ قالوا تأويلها أنك رأيت ملك الملوك ، فبعضهم كان ألين ملكاً وبعضهم كان أحسن ملكاً وبعضهم كان أشد ملكاً ، الفخار أضعفه ، ثم فوقه النحاس أشد منه ، ثم فوق النحاس الفضة أحسن من ذلك وأفضل ، والذهب أحسن من الفضة وأفضل ، ثم الحديد ملكك فهو أشد وأعز مما كان قبله ، والصخرة التي رأيت أرسل الله من السماء فدقته نبي يبعثه الله من السماء فيدق ذلك أجمع ويصير الأمر إليه . ثم إن أهل بابل قالوا لبختنصر : رأيت هؤلاء الغلمان من بني إسرائيل الذين كنا سألناك أن تعطيتناهم ففعلت ، فإننا قد أنكرنا نساءنا منذ كانوا معنا ، لقد رأينا نساءنا انصرفت عنا وجوههن إليهم فأخرجهم من بين أظهرنا أو اقتلهم ، قال شأنكم بهم ، فمن أحب منكم أن يقتل من كان في يده فليفعل . فلما قربوهم للقتل بكوا إلى الله تعالى وقالوا : يا رب أصابنا البلاء بذنوب غيرنا فوعد الله أن يجيبهم ، فقتلوا إلا من استبقى بختنصر منهم دانيال وحنانيا وعزازيا وميشائيل . ثم لما أراد الله هلاك بختنصر انبعث فقال لمن في يده من بني إسرائيل : رأيتم هذا البيت الذي خربته والناس الذين قتلت منهم ؟ وما هذا البيت ؟ قالوا : هذا بيت الله ، وهؤلاء أهله ، كانوا من ذراري الأنبياء ، فظلموا وتعدوا فسلطت عليهم بذنوبهم ، وكان ربهم ، رب السموات والأرض ورب الخلق كلهم ، يكرمهم ويعزهم ، فلما فعلوا ما فعلوا أهلكهم الله وسلط عليهم غيرهم ، فاستكبر ووطن أنه يجبروته فعل ذلك ببني إسرائيل . قال : فأخبروني كيف لي أن أطلع إلى السماء العليا فأقتل من فيها وأتخذها ملكاً لي فإني

## سورة الإسراء

قد فرغت من الأرض ، قالوا : ما يقدر عليها أحد من الخلائق ، قال : لتفعلن أو لأقتلنكم عن آخركم ، فبكوا وتضرعوا إلى الله تعالى فبعث الله عليه بقدرته بعوضة فدخلت منخره حتى عضت بأم دماغه ، فما كان يقر ولا يسكن حتى يوجأ له رأسه على أم دماغه ، فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة على أم دماغه ليري الله العباد قدرته ، ونجى الله من بقي من بني إسرائيل في يديه ، فردوهم إلى الشام فبنوا فيه وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه . ويزعمون : أن الله تعالى أحيا أولئك الذين قتلوا فلحقوا بهم ، ثم إنهم لما دخلوا الشام دخلوها وليس معهم عهد من الله تعالى وكانت التوراة قد احترقت ، وكان عزيز من السبايا الذين كانوا ببابل فرجع إلى الشام يبكي عليها ليله ونهاره ، وقد خرج من الناس ، فهو كذلك إذ أقبل إليه رجل فقال يا عزيز ما يبكيك ؟ قال أبكي على كتاب الله وعهده الذي كان بين أظهرنا ، الذي لا يصلح دنيانا وآخرتنا غيره ، قال : أفتحب أن يرد إليك ؟ ارجع فصم وتطهر ، وطهر ثيابك ، ثم موعدك هذا المكان غداً ، فرجع عزيز فصام وتطهر وطهر ثيابه ، ثم عمد إلى المكان الذي وعده فجلس فيه ، فأتاه ذلك الرجل بإناء فيه ماء ، وكان ملكاً بعثه الله إليه فسقاه من ذلك الإناء ، فمثلت التوراة في صدره فرجع إلى بني إسرائيل فوضع لهم التوراة فأحبوه حتى لم يحبوا حبه شيئاً قط ، ثم قبضه الله وجعلت بنو إسرائيل بعد ذلك يحدثون الأحداث ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل ، ففريقاً يكذبون وفريقاً يقتلون حتى كان آخر من بعث الله فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى ، وكانوا من بيت آل داود ، فمات زكريا ، وقيل قتل زكريا ، فلما رفع الله عيسى من بين أظهرهم ، وقتلوا يحيى ، بعث الله عليهم ملكاً من ملوك بابل يقال له خردوش ، فسار إليهم بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما ظهر عليهم أمر رأساً من رؤوس جنوده يدعى بيورزاذان صاحب القتل ، فقال : إني قد كنت حلفت بالهي لئن أنا ظفرت على أهل بيت المقدس لأقتلنهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري ، إلا أني لا أجد أحداً أقتله ، فأمره أن يقتلهم حتى بلغ ذلك منهم بيورزاذان ، ودخل بيت المقدس فقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد دماً يغلي فسألهم ، فقال : يا بني إسرائيل ما شأن هذا الدم يغلي ؟ أخبروني خبره ، قالوا : هذا دم قربان لنا قربناه فلم يقبل منا فلذلك يغلي ، ولقد قربنا منذ ثمانمائة سنة القربان فيقبل منا إلا هذا ، فقال : ما صدقتموني ، فقالوا : لو كان كأول زماننا لتقبل منا ، ولكن قد انقطع منا الملك والنبوة والوحي فلذلك لم يقبل منا ، فذبح منهم بيورزاذان على ذلك الدم سبعمائة وسبعين زوجاً من رؤوسهم ، فلم يهدأ ، فأمر فأتي بسبعمائة غلام من غلمانهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ ، فأمر بسبعة آلاف من شبهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يبرد ، فلما رأى

## سورة الإسراء

بيورزاذان الدم لا يهدأ قال لهم : يا بني إسرائيل ويلكم اصدقوني ، واصبروا على أمر ربكم ، فقد طال ما ملكتم في الأرض تفعلون فيها ما شئتم قبل أن لا أترك منكم نافع نار أنشى ولا ذكر إلا قتلته ، فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر ، فقالوا : إن هذا الدم دم نبي كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله فلو أنا أطعناه فيها لكان أرشد لنا وكان يخبرنا بأمركم فلم نصدقه ، فقتلناه فهذا دمه ، فقال لهم بيورزاذان : ما كان اسمه ؟ قالوا : يحيى بن زكريا ، قال الآن صدقتموني ، لمثل هذا انتقم ربكم منكم . فلما رأى بيورزاذان أنهم صدقوه خر ساجداً وقال لمن حوله : أغلقوا أبواب المدينة ، وأخرجوا من كان هاهنا من جيش خردوش ، وخلا في بني إسرائيل ، ثم قال : يا يحيى بن زكريا قد علم ربي وربك ما قد أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم فاهداً بإذن ربك قبل أن لا أبقى من قومك أحداً ، فهدأ الدم بإذن الله ، ورفع بيورزاذان عنهم القتل ، وقال آمنت بما آمنت به بنو إسرائيل وأيقنت أنه لا رب غيره ، وقال لبني إسرائيل : إن خردوش أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكريه ، وإني لست أستطيع [ أن أعصيه ] ، قالوا له : افعل ما أمرت به ، فأمرهم فحفروا خندقاً ، وأمر بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والإبل والبقر والغنم فذبحها حتى سال الدم في العسكر ، وأمر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من مواشيهم ، فلم يظن خردوش إلا أن ما في الخندق من بني إسرائيل ، فلما بلغ الدم عسكريه أرسل إلى بيورزاذان أن ارفع عنهم القتل . ثم انصرف إلى بابل ، وقد أفنى بني إسرائيل أو كاد [ أن يفنيهم ] ، وهي الواقعة الأخيرة التي أنزل الله ببني إسرائيل ، وذلك قوله : " لتفسدن في الأرض مرتين " ، فكانت الواقعة الأولى بختنصر وحنوده ، [ والأخرى خردوش وحنوده ] ، وكانت أعظم الوقعتين فلم تقم لهم بعد ذلك راية ، وانتقل الملك بالشام ونواحيها إلى الروم اليونانية إلا أن بقايا من بني إسرائيل كثروا ، وكانت لهم الرياسة بيت المقدس ونواحيها على غير وجه الملك ، وكانوا في نعمة إلى أن بدلوا وأحدثوا الأحداث فسلط الله عليهم ططيوس بن اسبيانوس الرومي ، فأخرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله عنهم الملك والرياسة وضربت عليهم الذلة فليسوا في أمة إلا وعليهم الصغار والجزية ، وبقي بيت المقدس خراباً إلى أيام عمر بن الخطاب فعمره المسلمون بأمره . قال قتادة : بعث الله عليهم جالوت في الأولى فسبى وقتل وخرب " ثم رددنا لكم الكرة عليهم " يعني في زمان داود ، فإذا جاء وعد الآخرة بعث الله عليهم بختنصر فسبى وخرب ، ثم قال : " عسى ربكم أن يرحمكم " فعاد الله عليهم بالرحمة ثم عاد القوم بشر ما بحضرتهم ، فبعث الله عليهم ما شاء من نعمته وعقوبته ، ثم بعث الله عليهم العرب كما قال " وإذ تأذن ربك ليعثن عليهم إلى يوم القيامة من

## سورة الإسراء

بسومهم سوء العذاب " ، فهم في العذاب إلى يوم القيامة. وذكر السدي بإسناده : أن رجلاً من بني إسرائيل رأى في النوم أن خراب بيت المقدس على يدي غلام يتيم ابن أرملة من أهل بابل ، يدعى بختنصر ، وكانوا يصدقون فتصدق رؤياهم ، فأقبل ليسأل عنه حتى نزل على أمه وهو يحتطب ، فجاء وعلى رأسه حزمة حطب ، فألقاها ثم قعد ، فكلمه ثم أعطاه ثلاثة دراهم ، فقال : اشتر بهذا طعاماً وشراباً ، فاشترى بدرهم لحماً ، وبدرهم خبزاً ، وبدرهم خمرأ ، فأكلوا وشربوا ، وفعل في اليوم الثاني كذلك وفي اليوم الثالث كذلك ، ثم قال : إني أحب أن تكتب لي أماناً إن أنت ملكت يوماً من الدهر ، فقال : تسخر مني ؟ فقال : إني لا أسخر منك ، ولكن ما عليك أن تتخذ بها عندي يداً ، فكتب له أماناً ، وقال : رأيت [ إن جئت والناس حولك قد حالوا بيني وبينك ، قال : ترفع صحيفتك على قصبة فأعرفك ، فكتب له وأعطاه ، ثم إن ملك بني إسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا ويدني مجلسه وأنه هوى ابنة امرأته ، وقال ابن عباس : ابنة أخته ، فسأل يحيى بن زكريا عن تزويجها فنهاه عن نكاحها فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى بن زكريا ، وعمدت حين جلس الملك على شرابه فألبستها ثياباً رفاقاً حمراً ، وطيبتها وألبستها الحلي وأرسلتها إلى الملك وأمرتها أن تسقيه ، فإن أرادها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سألته ، فإذا أعطها سألت رأس يحيى بن زكريا أن يؤتى به في طست ، ففعلت ، فلما أرادها قالت لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك ، قال : ما تسأليني ؟ قالت : رأس يحيى بن زكريا في هذا الطست ، فقال : ويحك سليني غير هذا ، فقالت : ما أريد إلا هذا ، فلما أصبح إذا دمه يغلي فأمر بتراب فألقى عليه فرقى الدم يعني صعد الدم يغلي ، ويلقي عليه من التراب حتى بلغ سور المدينة وهو في ذلك يغلي ، فبعث صحابيين ملك بابل جيشاً إليهم وأمر عليهم بختنصر ، فسار بختنصر وأصحابه حتى بلغوا ذلك المكان تحصنوا منه في مدائنهم ، فلما اشتد عليهم المقام أراد الرجوع فخرجت إليه عجوز من عجائز بني إسرائيل ، فقالت : تريد أن ترجع قبل فتح المدينة ؟ قال : نعم ، قد طال مقامي وجام أصحابي ، قالت : رأيت إن فتحت لك المدينة تعطيني ما أسألك فتقتل من أمرتك بقتله وتكف إذا أمرتك أن تكف ؟ قال : نعم ، قالت : إذا أصبحت تقسم جندك أربعة أرباع ، ثم أقم على كل زاوية ربعا ، ثم ارفعوا أيديكم إلى السماء فنادوا : إنا نستفتحك يا الله بدم يحيى بن زكريا ، فإنها سوف تتساقط ، ففعلوا فتساقطت المدينة ودخلوا من جوانبها ، فقالت : كف يدك وانطلقت به إلى دم يحيى بن زكريا وقالت : اقتل على هذا الدم حتى يسكن فقتل عليه سبعين ألفاً حتى سكن ، فلما سكن قالت : كف يدك ، فإن الله لم يرض إذا قتل نبي حتى يقتل من قتله ومن رضي بقتله ، وأتاه صاحب الصحيفة بصحيفته فكف عنه وعن أهل

## سورة الإسراء

بيته ، فخرّب بيت المقدس وطرح فيه الجيف ، وأعانه على خرابه الروم من أجل أن بني إسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا ، وذهب معه بوجوه بني إسرائيل وذهب بدانيال وقوم من أولاد الأنبياء وذهب معه برأس جالوت ، فلما قدم بابل وجد صحابين قد مات فملك مكانه ، وكان أكرم الناس عنده دانيال وأصحابه ، فحسدهم المجوس ووشوا بهم إليه وقالوا : إن دانيال وأصحابه لا يعبدون إلهك ولا يأكلون ذبيحتك ، فسألهم فقالوا : أجل إن لنا رباً نعبده ، ولسنا نأكل من ذبيحتكم فأمر الملك بخذ فخذ لهم فألقوا فيه وهم ستة ، وألقى معهم بسبع ضار ليأكلهم ، فذهبوا ثم راحوا فوجدوهم جلوساً والسبع مفترش ذراعيه معهم لم يخدم منهم أحداً ، ووجدوا معهم رجلاً سابعاً ، فقال : ما هذا السابع إنما كانوا ستة فخرج السابع وكان ملكاً فلطمه لطمه فصار في الوحوش ، ومسّخه الله سبع سنين . وذكر وهب : أن الله مسح بختنصر نسرّاً في الطير ثم مسّخه ثوراً في الدواب ، ثم مسّخه أسداً في الوحوش ، فكان مسّخه سبع سنين ، وقلبه في ذلك قلب إنسان ، ثم ردّ الله إليه ملكه فأمن ، فسئل وهب أكان مؤمناً ؟ فقال : وجدت أهل الكتاب اختلفوا فيه فمنهم من قال مات مؤمناً ومنهم من قال أحرق بيت المقدس وكتبه وقتل الأنبياء ، فغضب الله عليه فلم يقبل توبته . وقال السدي : ثم إن بختنصر لما رجع إلى صورته بعد المسّخ وردّ الله إليه ملكه كان دانيال وأصحابه أكرم الناس عليه فحسدهم المجوس ، وقالوا لبختنصر : إن دانيال إذا شرب الخمر لم يملك نفسه أن يبول وكان ذلك فيهم عاراً فجعل لهم طعاماً وشرباً فأكلوا وشربوا ، وقال للبواب : انظر أول من يخرج ليبول فاضربه بالطبرزين ، فإن قال أنا بختنصر ، فقل : كذبت ، بختنصر أمرني ، فكان أول من قام للبول بختنصر فلما رآه البواب شدّ عليه ، فقال : ويحك أنا بختنصر ، فقال : كذبت ، بختنصر أمرني ، فاضربه فقتله ، هذا ما ذكره في المبتدأ ، إلا أن رواية من روى أن بختنصر غزا بني إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريا غلط عند أهل السير ، بل هم مجمعون على أن بختنصر إنما غزا بني إسرائيل عند قتلهم شعيب في عهد أرمياء ، ومن وقت أرمياء وتخرّب بختنصر بيت المقدس إلى مولد يحيى بن زكريا أربع مائة وإحدى وستون سنة ، وذلك أنهم كانوا يعدون من لدن تخرّب بختنصر بيت المقدس إلى حين عمارته في عهد كيرش بن أخشورش بن أسيهيد بابل من قبل بهمن بن اسفنديار [ سبعين سنة ، ثم من بعد عمارته إلى ظهور الاسكندر على بيت المقدس ثمان وثمانون سنة ، ثم من بعد مملكته ] إلى مولد يحيى بن زكريا ثلاثمائة وستون سنة . والصحيح من ذلك ما ذكر محمد بن إسحاق . قوله عز وجل : " وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب " أي : أعلمناهم وأخبرناهم فيما أتيناهم من الكتب أنهم سيفسدون . والقضاء على وجوه : يكون أمراً ، كقوله : " وقضى ربك "

## سورة الإسراء

( الإسراء - 23 ) ويكون حكماً ، كقوله : " إن ربك يقضي بينهم " ( يونس - 93 ، والنحل - 78 ) ويكون خلقاً كقوله : " فقضاهن سبع سماوات " ( فصلت - 2 ) وقال ابن عباس و قتادة : يعني وقضينا عليهم ، و ( إلى ) بمعنى ( على ) ، والمراد بالكتاب : اللوح المحفوظ . " لتفسدن " ، لام القسم ، مجازة : والله لتفسدن ، " في الأرض مرتين " ، بالمعاصي ، والمراد بالأرض : أرض الشام وبيت المقدس ، " ولتعلن " ، و لتستكبرن ، ولتظلمن الناس ، " علواً كبيراً " .

5 - " فإذا جاء وعد أولاهما " ، يعني : أولي المرتين . قال قتادة : إفسادهم في المرة الأولى ما خالفوا من أحكام التوراة ، وركبوا المحارم . وقال ابن إسحاق إفسادهم في المرة الأولى قتل شعيا بين الشجرة وارتكابهم المعاصي . " بعثنا عليكم عبداً لنا " ، قال قتادة يعني جالوت الخزري و جنوده ، وهو الذي قتله داود . وقال سعيد بن جبير : يعني سنجاريب من أهل نينوى . وقال ابن إسحاق : بختنصر البابلي وأصحابه . وهو الأظهر . " أولي بأس " ، ذوي بطش ، " شديد " ، في الحرب ، " فجاسوا " ، أي : فطافوا وداروا ، " خلال الديار " ، وسطها يطلبونكم ويقتلونكم ، والجوس طلب الشيء بالاستقصاء . قال الفراء : جاسوا قتلوكم بين بيوتكم . " وكان وعداً مفعولاً " ، قضاء كائناً لا خلف فيه .

6 - " ثم رددنا لكم الكرة " ، يعني : الرجعة والدولة ، " عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً " ، عدداً ، أي : من ينفر معهم وعاد البلد أحسن مما كان .

7 - " إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم " ، أي : لها ثوابها ، " وإن أسأتم فلها " ، أي : فعلية ، كقوله تعالى : " فسلام لك " ( الواقعة - 91 ) أي : عليك . وقيل : فلها الجزاء والعقاب . " فإذا جاء وعد الآخرة " أي : المرة الآخرة من إفسادكم ، وذلك قصدهم قتل عيسى عليه السلام حين رفع ، وقتلهم يحيى بن زكريا عليهما السلام ، فسلط الله عليهم الفرس والروم ، خردوش وطيطوس حتى قتلوهم وسبوهم ونفوههم عن ديارهم ، فذلك قوله تعالى : " ليسوءوا وجوهكم " ، أي : تحزن وجوهكم ، وسوء الوجه بإدخال الغم والحزن قرأ الكسائي [ ويعقوب ] . " بسوء " بالنون وفتح الهمزة على التعظيم ، كقوله : " وقضينا " و " بعثنا " وقرأ ابن عامر و حمزة بالياء [ وفتح ] الهمزة [ على التوحيد ] ، أي : ليسوء الله وجوهكم ، وقيل : ليسوء الوعد وجوهكم . وقرأ الباقر بالياء وضم الهمزة على الجمع ، أي ليسوء العباد أولو البأس الشديد وجوهكم . " وليدخلوا المسجد " ، يعني : بيت المقدس ونواحيه ، " كما دخلوه أول مرة وليتبروا " ، وليهلكوا ، " ما علوا " أي : ما غلبوا عليه من بلادكم " تنبيراً " .

8 - " عسى ربكم " ، يا بني إسرائيل ، " أن يرحمكم " ، بعد انتقامه

## سورة الإسراء

منكم ، فيرد الدولة إليكم ، " وإن عدتم عدنا " ، أي : إن عدتم إلى المعصية عدنا إلى العقوبة . قال قتادة : فعادوا فبعث الله عليهم محمداً صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون . " وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً " ، سجنًا ومحبساً من الحصر وهو الحبس . قال الحسن : حصيراً أي : فراشاً . وذهب إلى الحصار الذي يبسط ويفرش .

9 - " إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم " ، أي : إلى الطريقة التي هي أصوب . وقيل : الكلمة التي هي أعدل وهي شهادة أن لا إله إلا الله ، " ويبشر " ، يعني : القرآن ، " المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم " ، بأن لهم ، " أجراً كبيراً " ، وهو الجنة .

10 - " وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً " ، وهو النار .

11 - وقوله تعالى : " ويدع الإنسان " ، حذف الواو لفظاً لاستقبال اللام الساكنة كقوله : " سندع الزبانية " ( العلق - 18 ) ، وحذف في الخط أيضاً وهي غير محذوفة في المعنى . ومعناه : ويدعو الإنسان على ماله وولده ونفسه ، " بالشر " ، فيقول عند الغضب : اللهم العنه وأهلكه ونحوهما ، " دعاءه بالخير " ، أي : كدعائه ربه [ بالخير ] أن يهب له النعمة والعافية ولو استجاب الله دعاءه على نفسه لهلك ، ولكن الله لا يستجيب بفضله " وكان الإنسان عجولاً " بالدعاء على ما يكره أن يستجاب له فيه . قال جماعة من أهل التفسير ، وقال ابن عباس : ضجرًا ، لا صبر له على السراء والضراء .

12 - قوله عز وجل : " وجعلنا الليل والنهار آيتين " ، أي : علامتين داليتين على وجودنا ووحدانيتنا وقدرتنا ، " فمحونا آية الليل " ، قال ابن عباس : جعل الله نور الشمس سبعين جزءاً ، ونور القمر كذلك ، فمحا من نور القمر تسعة وستين جزءاً فجعلها مع نور الشمس . وحكى أن الله تعالى أمر جبريل فأمر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي فيه النور . سأل ابن الكواء علياً عن السواد الذي في القمر ؟ قال : هو أثر محو . " وجعلنا آية النهار مبصرة " ، منيرة مضيئة ، يعني يبصر بها . قال الكسائي : تقول العرب أبصر النهار إذا أضاء بحيث يبصر بها ، " لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب " ، أي : لو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار ، ولم يدر الصائم متى يفطر ، ولم يدر وقت الحج ولا وقت حلول الأجال ولا وقت السكون والراحة . " وكل شيء فصلناه تفصيلاً " .

13 - قوله عز وجل : " وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه " ،

## سورة الإسراء

قال ابن عباس : عمله وما قدر عليه فهو ملازمه أينما كان . وقال الكلبي و مقاتل : خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسبه به . وقال الحسن : يمنه وشؤمه . وعن مجاهد : ما من مولود إلا في عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد . وقال أهل المعاني : أراد بالطائر ما قضى الله عليه أنه عامله وما هو صائر إليه من سعادة أو شقاوة سمي ( طائراً ) على عادة العرب فيما كانت تتفائل وتتشاءم به من سوانح الطير وبوارحها . وقال أبو عبيدة و القتيبي : أراد بالطائر حظه من الخير والشر ، من قولهم : طار سهم فلان بكذا ، وخص العنق من بين سائر الأعضاء لأنه موضع القلائد والأطواق وغيرهما مما يزين أو يشين ، فجرى على كلام العرب بتشبيه الأشياء اللازمة إلى الأعناق . " ونخرج له " ، يقول الله تعالى : ونحن نخرج له ، " يوم القيامة كتاباً " ، وقرأ الحسن و مجاهد و يعقوب : " ونخرج له " بفتح الياء وضم الراء ، معناه : ويخرج له الطائر يوم القيامة كتاباً . وقرأ أبو جعفر " يخرج " بالياء وضمها وفتح الراء . " يلقاه " ، قرأ ابن عامر و أبو جعفر " يلقاه " بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف ، يعني : يلقى الإنسان ذلك الكتاب ، أي : يؤتاه . وقرأ الباقر بفتح الياء خفيفة أي لا يراه " منشوراً " ، وفي الآثار : إن الله تعالى يأمر الملك بطي الصحيفة إذا تم عمر العبد فلا تنشر إلى يوم القيامة .

14 - " اقرأ كتابك " ، أي : يقال له : اقرأ كتابك ، قوله تعالى : " كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً " ، محاسباً . قال الحسن : لقد عدل عليك من جعلك حسيب نفسك . قال قتادة سيقراً يومئذ من لم يكن قارئاً في الدنيا .

15 - " من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه " ، لها ثوابه ، " ومن ضل فإنما يضل عليها " ، لأن عليها عقابه . " ولا تزر وازرة وزر أخرى " ، أي : لا تحمل حاملة حمل أخرى من الآثام ، أي : لا يؤخذ أحد بذنب أحد ، " وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً " ، إقامة للحجة وقطعاً للعدر ، وفيه دليل على أن ما وجب وجب بالسمع لا بالعقل .

16 - " وإذا أردنا أن نهلك قريةً أمرنا مترفيها " ، قرأ مجاهد : " أمرنا " بالتشديد أي : سلطنا شرارها فعصوا ، وقرأ الحسن و قتادة و يعقوب " أمرنا " بالمد ، أي : أكثرنا . وقرأ الباقر مقصوراً مخفياً ، أي : أمرناهم بالطاعة فعصوا ، ويحتمل أن يكون معناه جعلناهم أمراء ، ويحتمل أن تكون بمعنى أكثرنا ، يقال : أمرهم الله أي كثّرهم الله . وفي الحديث : ( خير المال مهرة مأمورة ) أي كثيرة النسل . ويقال : منه أمر القوم بأمرين أمراً إذا كثروا ، وليس من الأمر بمعنى الفعل ، فإن الله لا يأمر بالفحشاء . واختار أبو عبيدة قراءة العامة وقال : لأن المعاني الثلاثة تجتمع فيها يعني الأمر والإمارة والكثرة . " مترفيها "

## سورة الإسراء

منعميها وأغنياءها " ففسقوا فيها فحق عليها القول " ، وجب عليها العذاب ، " فدمرناها تدميراً " ، أي : خربناها وأهلكنا من فيها . أخبرنا عبد الواحد المليحي ، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا يحيى بن بكر ، حدثنا الليث عن عقيل ، عن ابن شهاب ، عن عروة بن الزبير أن زينب بنت أبي سلمة حدثته عن أم حبيبة بنت أبي سفيان ، عن زينب بنت جحش أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فرعاً وهو يقول : " لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شرٍ قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها قالت زينب فقلت : يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كثر الخبث " .

17 - قوله : " وكم أهلكنا من القرون " أي : المكذبة ، " من بعد نوح " ، يخوف كفار مكة ، " وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً " ، قال عبد الله بن أبي أوفى : القرن مائة وعشرون سنة ، فبعث الله صلى الله عليه وسلم في أول قرن ، وكان في آخره يزيد بن معاوية . وقيل : مائة سنة . وروي عن محمد بن القاسم عن عبد الله بن بسر المازني " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع يده على رأسه وقال : سيعيش هذا الغلام قرناً " قال محمد بن القاسم فما زلنا نعد له حتى تم له مائة سنة ، ثم مات . قال الكلبي : ثمانون سنة . وقيل : أربعون سنة .

18 - " من كان يريد العاجلة " ، يعني الدنيا ، أي : الدار العاجلة ، " عجلنا له فيها ما نشاء " ، من البسط والتفتير ، " لمن نريد " ، أن نفعل به ذلك أو إهلاكه ، " ثم جعلنا له " في الآخرة ، " جهنم يصلها " ، يدخل نارها ، " مذموماً مدحوراً " ، مطروداً مبعداً .

19 - " ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها " ، عمل عملها ، وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً " ، مقبولاً .

20 - " كلا نمد هؤلاء وهؤلاء " ، أي : نمد كلا الفريقين من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة ، " من عطاء ربك " ، أي : يرزقهما جميعاً ثم يختلف بهما الحال في المال ، " وما كان عطاء ربك " ، رزق ربك ، " محظوراً " ، ممنوعاً عن عباده ، فالمراد من العطاء : العطاء في الدنيا وإلا فلا حظ للكفار في الآخرة .

21 - " انظر " ، يا محمد ، " كيف فضلنا بعضهم على بعض " ، في الرزق والعمل [ الصالح ] يعني : طالب العاجلة وطالب الآخرة ، " وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً " .

22 - " ولا تجعل مع الله إلهاً آخر " ، الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره . وقيل : معناه لا تجعل أيها الإنسان [ مع الله إلهاً آخر ] ، " فتقعد مذموماً مخذولاً " ، مذموماً من غير حمد ، مخذولاً من غير نصر .

## سورة الإسراء

23 - قوله عز وجل : " وقضى ربك " ، وأمر ربك ، قاله ابن عباس و قتادة و الحسن . قال الربيع بن أنس : وأوجب ربك . قال مجاهد : وأوصى ربك . وحكى عن الضحاك بن مزاحم أنه قرأها ووصى ربك . وقال : إنهم ألقوا الواو بالصاد فصارت قافاً . " أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً " ، أي : وأمر بالوالدين إحساناً برأ بهما وعطفاً عليهما . " إما يبلغن عندك الكبر " ، قرأ حمزة و الكسائي بالألف على التثنية فعلى هذا قوله : " أحدهما أو كلاهما " ، كلام مستأنف ، كقوله تعالى " ثم عموا و صموا كثير منهم " ( المائدة - 71 ) وقوله " وأسروا النجوى الذين ظلموا " ، وقوله : " الذين ظلموا " ابتداء وقرأ الباقون " يبلغن " على التوحيد . " فلا تقل لهما أف " ، فيه ثلاث لغات ، قرأ ابن كثير و ابن عامر ، و يعقوب : بفتح الفاء ، وقرأ أبو جعفر ، و نافع ، و حفص بالكسر والتنوين والباقون بكسر الفاء غير منون ، ومعناها واحد وهي كلمة كراهية . قال أبو عبيدة : أصل التف والأف الوسخ على الأصابع إذا قتلتها . وقيل : ( الأف ) : ما يكون في المغابن من الوسخ ، و ( التف ) : ما يكون في الأصابع . وقيل : ( الأف ) : وسخ و سح الأذن و ( التف ) وسخ الأظافر . وقيل : ( الأف ) : وسخ الظفر ، و ( التف ) : ما رفعته بيدك من الأرض من شيء حقير . " ولا تنهرهما " ، ولا تزجرهما . " وقل لهما قولاً كريماً " ، حسناً جميلاً ليناً ، قال ابن المسيب : كقول العبد المذنب للسيد اللفظ . وقال مجاهد : لا تسميهما ، ولا تكنهما ، وقل : يا أبتاه [ يا أماه ] . وقال مجاهد : في هذه الآية أيضاً : إذا بلغا عندك من الكبر ما يبولان فلا تنقذرهما ، ولا تقل لهما أف حين تميط عنهما الخلاء والبول كما كانا يميطانه عنك صغيراً .

24 - " واخفض لهما جناح الذل " ، أي ألن جانبك لهما واخضع . قال عروة بن الزبير لن لهما حتى لا تمتنع عن شيء أحياه " من الرحمة " ، من الشفقة ، " وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً " ، أراد : إذا كانا مسلمين . قال ابن عباس : هذا منسوخ بقوله : " ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين " ( التوبة - 13 ) . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني ، حدثنا حميد بن زنجويه ، حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن يزيد عن عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن - يعني السلمي - عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الوالد أوسط أبواب الجنة فحافظ إن شئت أو ضيع " . أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي الزراد ، أخبرنا أبو بكر محمد بن إدريس الجرجاني ، أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسين الماليني ، أخبرنا حسن بن سفيان ، حدثنا يحيى بن حبيب بن عدي ، حدثنا خالد بن الحارث ، عن شعبة ، عن يعلى بن عطاء عن أبيه عن عبد الله بن

## سورة الإسراء

عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " رضا الله في رضا الوالد ، وسخط الله في سخط الوالد " . أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي ، أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار ، حدثنا أبو جعفر محمد بن غالب بن تمام الضبي ، حدثنا عبد الله بن مسلمة ، حدثنا عبد العزيز بن مسلم عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يدخل الجنة منان ، ولا عاق ، ولا مدمن خمر " . أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي ، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد بن باموية الأصفهاني ، أخبرنا أبو سعيد أحمد بن زياد البصري ، أخبرنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا ربعي بن علي ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ، ورغم أنف رجل أتى عليه شهر رمضان فلم يغفر له ، ورغم أنف رجل أدرك أبوه الكبر فلم يدخله الجنة " .

25 - " ربكم أعلم بما في نفوسكم " ، من بر الوالدين وعقوقهما ، " إن تكونوا صالحين " ، أبراراً مطيعين بعد تقصير كما كان منكم في القيام بما لزمكم من حق الوالدين وغير ذلك ، " فإنه كان للأوابين " بعد المعصية " عفوراً " . قال سعيد بن جبیر في هذه الآية : هو الرجل تكون منه البادرة إلى أبويه لا يريد بذلك إلا الخير فإنه لا يؤاخذ به . قال سعيد بن المسيب : ( الأواب ) الذي يذنب ثم يتوب ، ثم يذنب ثم يتوب . قال سعيد بن جبیر : الرجاء إلى الخير . وعن ابن عباس قال : هو الرجاء إلى الله فيما يحزبه وينوبه . وعن سعيد بن جبیر عن ابن عباس : هم المسبحون ، دليله قوله : " يا جبال أوبي معه " ( سبأ - 10 ) قال قتادة : هم المصلون . قال عوف بن عقيل : هم الذين يصلون صلاة الضحى . أخبرنا أبو الحسن طاهر بن الحسين الروقي الطوسي ، أخبرنا أبو الحسن محمد بن يعقوب ، أخبرنا أبو النصر محمد بن محمد بن يوسف ، حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا وكيع عن هشام صاحب الدستوائي ، عن قتادة ، عن القاسم بن عوف ، عن زيد بن أرقم قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل قباء وهم يصلون صلاة الضحى ، فقال : " صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال من الضحى " . وقال محمد بن المنكدر : ( الأواب ) : الذي يصلي بي المغرب والعشاء . وروي عن ابن عباس أنه قال : إن لملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء ، وهي صلاة الأوابين .

26 - قوله تعالى : " وآت ذا القربى حقه " ، يعني صلة الرحم ، وأراد به : قرابة الإنسان ، وعليه الأكثرون . عن علي بن الحسين :

## سورة الإسراء

أراد به قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم . " والمسكين وابن السبيل ، ولا تبذر تبذيراً " ، أي : لا تنفق مالك في المعصية . وقال مجاهد : لو أنفق الإنسان ماله كله في الحق ما كان تبذيراً ، ولو أنفق مداً في باطل كان تبذيراً . وسئل ابن مسعود عن التبذير فقال : إنفاق المال في غير حقه . قال شعبة : كنت أمشي مع أبي إسحاق في طريق الكوفة ، فأتى على باب دار بني بخص وأجر ، فقال : هذا التبذير . وفي قول عبد الله : إنفاق المال من غير حقه .

27 - " إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين " ، أي : أولياءهم ، والعرب تقول لكل ملازم سنة قوم هو أخوهم . " وكان الشيطان لربه كفوراً " ، جحوداً لنعمة .

28 - " وإما تعرضن عنهم " ، نزلت في مهجع ، وبلال ، وصهيب ، وسالم ، وخباب ، كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم في الأحايين ما يحتاجون إليه ، ولا يجد ، فيعرض عنهم حياءً منهم ويمسك عن القول ، فنزل " وإما تعرضن عنهم " ، وإن تعرض عن هؤلاء الذين أمرك أن تؤتيهم ، " ابتغاء رحمة من ربك ترجوها " ، انتظار رزق من الله ترجوه أن يأتيتك ، " فقل لهم قولاً ميسوراً " ليناً ، وهي العدة ، أي : عدهم وعداً جميلاً . وقيل : القول الميسور أن تقول : يرزقنا الله وإياك .

29 - " ولا تجعل يدك مغلولةً إلى عنقك " ، قال جابر : أتى صبي فقال : يا رسول الله إن أمي تستكسيك درعاً ، ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قميصه ، فقال للصبي : من ساعة إلى ساعة يظهر ، فعد وقتاً آخر ، فعاد إلى أمه فقالت : قل له : إن أمي تستكسيك الدرع الذي عليك ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم داره فنزع قميصه فأعطاه إياه ، وقعد عرياناً ، فأذن بلال للصلاة ، فانتظروه فلم يخرج ، فشغل قلوب أصحابه ، فدخل عليه بعضهم فراه عرياناً ، فأنزل الله تعالى : " ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك " يعني : ولا تمسك يدك عن النفقة في الحق كالمغلولة يده لا يقدر على مداها . " ولا تبسطها " ، بالعطاء " كل البسط " ، فتعطي جميع ما عندك ، " فتتعد ملوماً " ، يلومك [ سائلوك ] بالإمساك إذا لم تعطهم . و ( الملوم ) الذي أتى بما يلوم نفسه ، أو يلومه غيره ، " محسوراً " منقطعاً بك ، لا شيء عندك تنفقه . يقال : حسرتة بالمسألة إذا ألحفت عليه ، ودابة حسيرة إذا كانت كالة رازحة . قال قتادة : ( محسوراً ) نادماً على ما فرط منك .

30 - " إن ربك ببسط " ، يوسع " الرزق لمن يشاء ويقدر " ، أي : يقتر ويضيق ، " إنه كان بعباده خبيراً بصيراً " .

31 - قوله تعالى : " ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق " ، فقر ،

## سورة الإسراء

نحن نرزقهم وإياكم " ، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يثدّون بناتهم خشية الفاقة فنهوا عنه ، وأخبروا أن رزقهم ورزق أولادهم على الله تعالى ، " إن قتلهم كان خطأ كبيراً " ، قرأ ابن عامر و أبو جعفر " خطأ " بفتح الخاء والطاء مقصوراً . وقرأ ابن كثير بكسر الخاء ممدوداً وقرأ الآخرون بكسر الخاء وجزم الطاء ، ومعنى الكل واحد ، أي : إنما كبيراً .

32 - " ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشاً وساء سبيلاً " .

33 - " ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق " ، وحققها ما روينا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : رجل كفر بعد إيمانه ، أو زنى بعد إحصانه ، أو قتل نفساً بغير نفس فيقتل بها " . " ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً " ، أي : قوةً وولايةً على القاتل بالقتل ، قال مجاهد . وقال الضحاك : سلطانه هو أنه بتخير ، فإن شاء استعاد منه ، وإن شاء أخذ الدية ، وإن شاء عفا . " فلا يسرف في القتل " ، قرأ حمزة و الكسائي : " ولا تسرفوا " بالتاء يخاطب ولي القاتل ، وقرأ الآخرون : بالياء على الغائب أي : لا يسرف الولي في القتل . واختلفوا في هذا الإسراف الذي منع منه ، فقال ابن عباس ، وأكثر المفسرين : معناه لا يقتل غير القاتل وذلك أنهم كانوا في الجاهلية إذا قتل منهم قتيل لا يرضون بقتل قاتله حتى يقتلوا أشرف منه . قال سعيد بن جبير : إذا كان القاتل واحداً فلا يقتل جماعة بدل واحد ، وكان أهل الجاهلية إذا كان المقتول شريفاً لا يرضون بقتل القاتل [ وحده ] حتى يقتلوا معه جماعة من أقربائه . وقال قتادة : معناه لا يمثل بالقاتل . " إنه كان منصوراً " ، فالهاء راجعة إلى المقتول في قوله : " ومن قتل مظلوماً " يعني : إن المقتول منصور في الدنيا بإيجاب القود على قاتله ، وفي الآخرة بتكفير خطاياهم وإيجاب النار لقاتله ، هذا قول مجاهد . وقال قتادة : الهاء راجعة إلى ولي المقتول ، معناه : إنه منصور على القاتل باستيفاء منه أو الدية . وقيل في قوله : " فلا يسرف في القتل " إنه أراد به القاتل المعتدي ، يقول : لا يتعدى بالقتل بغير الحق ، فإنه إن فعل ذلك فولي المقتول منصور من قبلي عليه باستيفاء القصاص منه .

34 - " ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا بالعهد " ، بالإتيان بما أمر الله به والانتهاه عما نهى الله عنه . وقيل : أراد بالعهد ما يلتزمه الإنسان على نفسه . " إن العهد كان مسؤولاً " ، قال السدي : كان مطلوباً . وقيل : العهد يسأل عن صاحب العهد ، فيقال : فيم نقضت ، كالمؤودة تسأل فيم قتلت ؟

35 - " وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس " ، قرأ حمزة و الكسائي و حفص " بالقسطاس " بكسر القاف والباقون بضمه ،

## سورة الإسراء

وهما لغتان وهو الميزان صغر أو كبر أي : بميزان العدل . وقال الحسن : هو القبان . قال مجاهد : هو رومي . وقال غيره : هو عربي مأخوذ من القسط وهو العدل ، أي : زنوا بالعدل . " المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً " ، أي : عاقبة .

36 - " ولا تقف ما ليس لك به علم " ، قال قتادة : لا تقل : رأيت ، ولم تره ، وسمعت ، ولم تسمعه ، وعلمت ، ولم تعلمه . وقال مجاهد : لا ترم أحداً بما ليس لك به علم . وقال القتيبي : لا تتبعه بالحدس والظن . وهو في اللغة اتباع الأثر ، يقال : قفوت فلاناً أقفوه وفقيته ، وأقفيته إذا اتبعت أثره ، وبه سميت القافية لتتبعهم الآثار . قال القتيبي : هو مأخوذ من القفا كأنه يقفو الأمور ، يكون في إقفائها يتبعها ويتعرفها . وحقيقة المعنى : لا تتكلم [ أيها الإنسان ] بالحدس والظن . " إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً " ، قيل : معناه يسأل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده . وقيل : يسأل السمع والبصر والفؤاد عما فعله المرء . وقوله : " كل أولئك " أي : كل هذه الجوارح والأعضاء . وعلى القول الأول يرجع " أولئك " [ إلى ] أربابها . أخبرنا عبد الواحد المليحي ، أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمد بن الحسين ، أخبرنا أبو علي حامد ابن محمد الرفاء ، حدثنا أبو الحسن علي بن عبد العزيز ، أخبرنا الفضل بن دكين ، حدثنا سعد بن أوس العبسي ، حدثني بلال بن يحيى العبسي أن شتير بن شكل أخبره عن أبيه شكل بن حميد قال : " أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : يا نبي الله علمني تعويداً أتعوذ به ، فأخذ بيدي ثم قال : قل : اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي ، وشر بصري ، وشر لساني ، وشر قلبي ، وشر مني قال : فحفظتها ، قال سعد : المنى ماؤه " .

37 - " ولا تمش في الأرض مرحاً " ، أي بطراً وكبراً وخيلاء ، وهو تفسير المشي ، فلذلك أخرج على المصدر ، " إنك لن تحرق الأرض " أي : لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ آخرها ، " ولن تبلغ الجبال طولاً " أي : لا تقدر أن تطاول الجبال وتساويها بكبرك . معناه : أن الإنسان لا ينال بكبره وبطره شيئاً ، كمن يريد خرق الأرض ومطاوله الجبال لا يحصل على شيء . وقيل : ذكر ذلك لأن من مشى مختلاً يمشي مرة على عقبيه ومرة على صدور قدميه ، فقيل له : إنك لن تنقب الأرض إن مشيت على عقبيك ، ولن تبلغ الجبال طولاً إن مشيت على صدور قدميك . أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني ، أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي ، أخبرنا الهيثم بن كليب ، حدثنا أبو عيسى الترمذي ، حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا أبي ، عن المسعودي ، عن عثمان بن مسلم بن هرمز ، عن نافع بن جبير بن مطعم ، عن علي قال : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مشى يتكفاً تكفوفاً ، كأنما

## سورة الإسراء

ينحط من صيب " . أخبرنا أبو محمد الجرجاني ، أخبرنا أبو القاسم الخراعي ، أخبرنا الهيثم بن كليب ، حدثنا أبو عيسى الترمذي ، حدثنا قتيبة بن سعد ، حدثنا ابن لهيعة ، عن أبي يونس ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : " ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كأن الشمس تجري في وجهه ، وما رأيت أحداً أسرع في مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الأرض تطوى له ، إنا لنجهد أنفسنا ، وإنه لغير مكترث " .

38 - " كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً " ، قرأ ابن عامر وأهل الكوفة : برفع الهمزة وضم الهاء ، على الإضافة ، ومعناه : كل الذي ذكرنا من قوله : " وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه " كان سيئه " أي : سيئ ما عدنا عليك عند ربك مكروهاً ، لأنه قد عد أموراً حسنة كقوله : " وآت ذا القربى حقه " وخفض لهما جناح الذل " وغير ذلك . وقرأ الآخرون : " سيئة " منصوبة منونة يعني : كل الذي ذكرنا من قوله : " ولا تقتلوا أولادكم " إلى هذا الموضع سيئة لا حسنة فيه ، إذ الكل يرجع إلى المنهي عنه دون غيره ، ولم يقل مكروهاً لأن فيه تقديماً وتأخيراً ، وتقديره : كل ذلك كان مكروهاً سيئاً : [ وقوله " مكروهاً " على التكرير ، لا على الصفة ، مجازه : كل ذلك كان سيئاً وكان مكروهاً ] ، أو رجع إلى المعنى دون اللفظ ، لأن السيئة الذنب وهو مذكر .

39 - " ذلك " الذي ذكرنا ، " مما أوحى إليك ربك من الحكمة " . وكل ما أمر الله به أو نهى عنه فهو حكمه . " ولا تجعل مع الله إلهاً آخر " ، خاطب النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآيات والمراد منه الأمة ، " فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً " ، مطروداً مبعداً من كل خير .

40 - قوله عز وجل : " أفأصفاكم ربكم " ، أي : اختاركم فجعل لكم الصفة ولنفسه ما ليس بصفة ، يعني : اختاركم ، " بالبين واتخذ من الملائكة إناثاً " لأنهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله ، " إنكم لتقولون قولاً عظيماً " ، يخاطب مشركي مكة .

41 - قوله عز وجل : " ولقد صرفنا في هذا القرآن " ، يعني : [ ما ذكر من ] العبر ، والحكم ، والأمثال ، والأحكام ، والحجج ، والإعلام ، والتشديد للتكثير والتكرير ، " ليذكروا " أي : ليتذكروا ويتعظوا ، وقرأ حمزة و الكسائي بإسكان الذال وضم الكاف وكذلك في الفرقان . " وما يزيدهم " ، تصريفنا وتذكرنا ، " إلا نفوراً " ، ذهاباً وتباعداً عن الحق .

42 - " قل " ، يا محمد لهؤلاء المشركين ، " لو كان مع الله كما يقولون " ، قرأ حفص وابن كثير " يقولون " بالياء وقرأ الآخرون بالتاء ، " إذا لابتغوا " ، لطلبوا يعني الآلهة " إلى ذي العرش سبيلاً " ، بالمبالغة والقهر ليزيلوا ملكه ، كفعل ملوك الدنيا بعضهم

## سورة الإسراء

بعض . وقيل : معناه لطلبوا إلى ذي العرش سبيلاً بالتقرب إليه . قال قتادة : ليعرفوا الله وفضله وابتغوا ما يقربهم إليه . والأول أصح . ثم نزه نفسه ، فقال عز من قائل :

43 - " سبحانه وتعالى عما يقولون " ، قرأ حمزة و الكسائي " تقولون " بالتاء والآخرين بالياء ، " علواً كبيراً " .

44 - " تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن " ، قرأ أبو عمرو ، و حمزة ، و الكسائي ، حفص ، و يعقوب : " تسبح " بالتاء وقرأ الآخرون بالياء للحائل بين الفعل والتأنيث . " وإن من شيء إلا يسبح بحمده " ، روي عن ابن عباس أنه قال : وإن من شيء حي إلا يسبح بحمده . وقال قتادة : يعني الحيوانات والناميات . وقال عكرمة : الشجرة تسبح ، والأسطوانة لا تسبح . وعن المقدم بن معد يكره قال : إن التراب يسبح ما لم يتبل ، فإذا ابتل ترك التسبيح ، وإن الخرزة تسبح ما لم ترفع من موضعها ، فإذا رفعت تركت التسبيح ، وإن الورقة لتسبح ما دامت على الشجرة فإذا سقطت تركت التسبيح ، وإن الثوب ليسبح ما دام جديداً فإذا وسخ ترك التسبيح ، وإن الماء يسبح مادام جارياً فإذا ركذ ترك التسبيح ، وإن الوحش والطير تسبح إذا صاحت فإذا سكنت تركت التسبيح . وقال إبراهيم النخعي : وإن من شيء جماد وحي إلا يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيض السقف . وقال مجاهد : كل الأشياء تسبح ، حياً كان أو ميتاً أو جماداً ، وتسبحها سبحان الله وبحمده . أخبرنا عبد الواحد المليحي ، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي ، أخبرنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا محمد بن المثني ، أخبرنا أبو أحمد الزبير ، أخبرنا إسرائيل ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : " كنا نعد الآيات بركة ، وأنتم تعدونها تخويفاً ، كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال : اطلبوا فضلة من ماء ، فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الإناء ثم قال : حي على الطهور المبارك ، والبركة من الله ، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل " . وقال بعض أهل المعاني : تسبح السموات والأرض والجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء ما دلت بلطيف تركيبها وعجيب هيئتها على خالقها ، فيصير ذلك بمنزلة التسبيح منها . والأول هو المنقول عن السلف . واعلم أن الله تعالى علماً في الجمادات لا يقف عليه غيره ، فينبغي أن يوكل علمه إليه . " ولكن لا تفقهون تسبيحهم " ، أي لا تعلمون تسبيح ما عدا من يسبح بلغاتكم وألسنتكم ، " إنه كان حليماً غفوراً " .

45 - قوله عز وجل : " وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً " ، يحجب قلوبهم عن فهمه

## سورة الإسراء

والانتفاع به . قال قتادة : هو الأكنة ، والمستور بمعنى الساتر كقوله : " إنه كان وعده مأتياً " ( مريم - 61 ) مفعول بمعنى الفاعل . وقيل : مستور عن أعين الناس فلا يرونه . وفسره بعضهم بالحجاب عن الأعين الظاهرة ، كما روي عن سعيد بن جبير أنه " لما نزلت : " تبت يدا أبي لهب " جاءت امرأة أبي لهب ومعها حجر ، والنبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر ، فلم تره ، فقالت لأبي بكر : أين صاحبك لقد بلغني أنه هجاني ؟ فقال : والله ما ينطق بالشعر ، ولا يقوله ، فرجعت وهي تقول قد كنت جئت بهذا الحجر لأرضخ رأسه ، فقال أبو بكر : ما رأيتك يا رسول الله ، قال : لا ، لم يزل ملك بيني وبينها يسترني . "

46 - " وجعلنا على قلوبهم أكنة " ، أعطية ، " أن يفقهوه " ، كراهية أن يفقهوه . وقيل : لئلا يفقهوه ، " وفي آذانهم وقراً " ، ثقلاً لئلا يسمعه . " وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده " ، يعني إذا قلت : لا إله إلا الله في القرآن وأنت تتلوه ، " ولوا على أديبارهم نفوراً " ، جمع ( نافر ) ، مثل : قاعد ، وعود ، وجالس ، وجلوس ، أي نافرين .

47 - " نحن أعلم بما يستمعون به " ، قيل : ( به ) صلة ، أي : يطلبون سماعه ، " إذ يستمعون إليك " ، وأنت تقرأ القرآن ، " وإذ هم نجوى " ، يتناجون في أمرك . وقيل : ذوو نجوى ، فبعضهم يقول : هذا مجنون ، وبعضهم يقول : كاهن ، وبعضهم يقول : ساحر ، وبعضهم يقول : شاعر . " إذ يقول الظالمون " ، يعني : الوليد بن المغيرة وأصحابه ، " إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً " ، مطبوعاً . [ وقال مجاهد ] : مخدوعاً . وقيل : مصروفاً عن الحق . يقال : ما سحرك عن كذا أي ما صرفك ؟ وقال أبو عبيدة : أي رجلاً له سحر ، والسحر : الرثة ، أي : إنه بشر مثلكم مغلل بالطعام والشراب يأكل ويشرب قال الشاعر أرانا موضعين لحتم غيب ونسحر بالطعام وبالشراب أي : نغذى ونعلل .

48 - " انظر " ، يا محمد ، " كيف ضربوا لك الأمثال " ، الأشباه ، قالوا : شاعر وساحر وكاهن ومجنون ، " فضلوا " ، فحاروا وحادوا ، " فلا يستطيعون سبيلاً " أي : وصولاً إلى طريق الحق .

49 - " وقالوا إذا كنا عظاماً " بعد الموت ، " ورفاتاً " قال مجاهد : تراباً . وقيل : حطاماً . و ( الرفات ) : كل ما تكسر ويلى من كل شيء ، كالفتات والحطام . " إنا لمبعوثون خلقاً جديداً " .

50 - " قل " لهم يا محمد : " كونوا حجارةً أو حديداً " ، في الشدة والقوة ، وليس هذا بأمر إلزام بل هو أمر تعجيز ، أي : استشعروا في قلوبكم أنكم حجارة أو حديد في القوة .

51 - " أو خلقاً مما يكبر في صدوركم " ، قيل : السماء والأرض [ والجبال ] . وقال مجاهد و عكرمة وأكثر المفسرين : إنه الموت

## سورة الإسراء

، فإنه ليس في نفس ابن آدم شيء أكبر من الموت ، أي : لو كنتم الموت بعينه لأميتنكم ولأبعثنكم . " فسيقولون : من يعيدنا " ، من يعيدنا بعد الموت ؟ " قل : الذي فطركم " ، خلقكم ، " أول مرة " ومن قدر على الإنشاء قدر على الإعادة ، " فسينغضون إليك رؤوسهم " ، أي : يحركونها إذا قلت لهم ذلك مستهزئين بها ، " ويقولون متى هو " ؟ أي : البعث والقيامة ، " قل عسى أن يكون قريباً " أي : هو قريب ، لأن عسى من الله واجب ، نظيره قوله تعالى : " وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً " ( الأحزاب - 63 )

52 - " يوم يدعوكم " من قبوركم إلى موقف القيامة ، " فتستجيبون بحمده " ، قال ابن عباس : بأمره . وقال قتادة : بطاعته . وقيل : مقربين بأنه خالفهم وباعثهم ويحمدونه حين لا ينفعهم الحمد . وقيل : هذا خطاب مع المؤمنين فإنهم يبعثون حامدين . " وتظنون إن لبثتم " ، في الدنيا وفي القبور ، " إلا قليلاً " ، لأن الإنسان لو مكث أوفياً من السنين في الدنيا وفي القبر عد ذلك قليلاً في مدة يوم القيامة والخلود . قال قتادة : يستحقرون مدة الدنيا في جنب القيامة .

53 - قوله تعالى : " وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن " ، قال الكلبي : كان المشركون يؤذون المسلمين فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى : " وقل لعبادي " المؤمنين " يقولوا " للكافرين " التي هي أحسن " ولا يكافؤوهم بسفهمهم . قال الحسن : يقول له : يهديك الله . وكان هذا قبل الإذن في الجهاد والقتال . وقيل : نزلت في عمر بن الخطاب شتمه بعض الكفار فأمره الله بالعفو . وقيل : أمر الله المؤمنين بأن يقولوا ويفعلوا التي هي أحسن أي : الخلة التي هي أحسن . وقيل : ( الأحسن ) كلمة الإخلاص لا إله إلا الله . " إن الشيطان ينزغ بينهم " ، أي : يفسد ويلقي العداوة بينهم ، " إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً " ، ظاهر العداوة .

54 - " ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم " ، يوفقكم فتؤمنوا ، " أو إن يشأ يعذبكم " ، يمتنكم على الشرك فتعذبوا ، قاله ابن جريج . وقال الكلبي : إن يشأ يرحمكم فينجيكم من أهل مكة ، وإن يشأ يعذبكم فيسلطهم عليكم . " وما أرسلناك عليهم وكيلاً " حفيظاً وكفيلاً . قيل : نسختها آية القتال .

55 - " وربك أعلم بمن في السموات والأرض " ، أي : ربك العالم بمن في السموات والأرض فجعلهم مختلفين في صورهم وأخلاقهم وأحوالهم ومللهم . " ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض " ، قيل جعل أهل السموات والأرض مختلفين كما فضل بعض النبيين على بعض . قال قتادة في هذه الآية : اتخذ الله إبراهيم خليلًا ، وكلم موسى تكليماً ، وقال لعيسى : كن فيكون ، وأتى سليمان ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، وأتى داود زبوراً كما

## سورة الإسراء

قال : " وآتينا داود زبوراً " ، والزبور : كتاب علمه الله داود ، يشتمل على مائة وخمسين سورة ، كلها دعاء وتمجيد وثناء على الله عز وجل ، وليس فيها حرام ولا حلال ولا فرائض ولا حدود . معناه : إنكم لم تنكروا تفضيل النبيين فكيف تنكرون فضل النبي صلى الله عليه وسلم وإعطاءه القرآن ؟ وهذا خطاب مع من يقر بتفضيل الأنبياء عليهم السلام من أهل الكتاب وغيرهم .

56 - قوله عز وجل : " قل ادعوا الذين زعمتم من دونه " ، وذلك أن المشركين أصابهم قحط شديد حتى أكلوا الكلاب والحيث ، فاستغاثوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليدعو لهم ، قال الله تعالى : " قل " للمشركين " ادعوا الذين زعمتم من دونه " أنها آلهة " فلا يملكون كشف الضر " ، القحط والجوع ، " عنكم ولا تحويلاً " ، إلى غيركم ، أو تحويل الحال من العسر إلى اليسر .

57 - " أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة " ، يعني الذين يدعونهم المشركون آلهة يعبدونهم . قال ابن عباس ، و مجاهد : وهم عيسى ، وأمه ، وعزير ، والملائكة ، والشمس ، والقمر ، والنجوم ، ( يبتغون ) أي يطلبون إلى ربهم ( الوسيلة ) أي القرية . وقيل : الوسيلة الدرجة العليا ، أي : يتضرعون إلى الله في طلب الدرجة العليا . وقيل : الوسيلة كل ما يتقرب به إلى الله تعالى . وقوله : " أيهم أقرب " ، معناه : ينظرون أيهم أقرب إلى الله فيتوسلون به . وقال الزجاج : أيهم أقرب يبتغي الوسيلة إلى الله تعالى ويتقرب إليه بالعمل الصالح ، " ويرجون رحمته " ، جنته ، " ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً " ، أي يطلب منه الحذر . وقال عبد الله بن مسعود : نزلت الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرًا من الجن فأسلم الجنيون ولم يعلم الإنس الذين كانوا يعبدونهم بإسلامهم ، فتمسكوا بعبادتهم فغيرهم الله وأنزل هذه الآية . وقرأ ابن مسعود " أولئك الذين يدعون " بالتاء .

58 - " وإن من قرية " وما من قرية ، " إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة " ، أي : مخربوها ومهلكوها أهلها ، " أو معدبوها عذاباً شديداً " ، بأنواع العذاب إذا كفروا وعصوا . وقال مقاتل وغيره : مهلكوها في حق المؤمنين بالإماتة ، ومعدبوها في حق الكفار بأنواع العذاب . قال عبد الله بن مسعود : إذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن الله في هلاكها . " كان ذلك في الكتاب " ، في اللوح المحفوظ ، " مسطوراً " ، مكتوباً . قال عبادة بن الصامت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن أول ما خلق الله القلم فقال اكتب ، فقال ما أكتب ؟ قال القدر ، وما كان وما هو كائن إلى الأبد " .

59 - قوله عز وجل : " وما معنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون " ، قال ابن عباس : " سأل أهل مكة [ رسول الله صلى

## سورة الإسراء

الله عليه وسلم [ أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن ينحي الجبال عنهم فيزرعوا، فأوحى الله تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم : إن شئت أن أستأنى بهم فعلت ، وإن شئت أن أوتيهم ما سألوها فعلت ، فإن لم يؤمنوا أهلكتهم كما أهلكت من كان قبلهم ] من الأمم [ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا بل تستأنى بهم " ، فأنزل الله عز وجل : " وما منعنا أن نرسل بالآيات " التي سألتها كفار قومك " إلا أن كذب بها الأولون " فأهلكناهم ، فإن لم يؤمن قومك بعد إرسال الآيات أهلكتهم ، لأن من سنتنا في الأمم إذا سألوها الآيات ، ثم لم يؤمنوا بعد إتيانها ، أن نهلكهم ولا نمهلهم ، وقد حكمنا بأمهال هذه الأمة في العذاب ، فقال جل ذكره : " بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر " ( القمر - 46 ) ثم قال : " وأتينا ثمود الناقة مبصرةً " ، مضيئة بينة ، " فظلموا بها " ، أي : جحدوا بها أنها من عند الله كما قال : " بما كانوا باياتنا يظلمون " ( الأعراف - 9 ) ، أي : يجحدون . وقيل : ظلموا أنفسهم بتكذيبها يريد فعاجلناهم بالعقوبة . " وما نرسل بالآيات " أي : العبر والدلالات ، " إلا تخويفاً " ، للعباد ليؤمنوا . قال قتادة : إن الله تعالى يخوف الناس بما شاء من آياته لعلهم يرجعون .

60 - قوله عز وجل : " وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس " ، أي : هم في قبضته ، لا يقدر على الخروج من مشيئته ، فهو حافظك ومانعك منهم ، فلا تهبهم وامض لما أمرك به من تبليغ الرسالة ، كما قال : " والله يعصمك من الناس " ( المائدة - 67 ) . " وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس " ، فالأكثر على أن المراد منه ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم [ ليلة المعراج من العجائب والآيات . قال ابن عباس : هي رؤيا عين أريها النبي صلى الله عليه وسلم ] ، وهو قول سعيد بن جبير ، والحسن ، و مسروق ، و قتادة ، و مجاهد ، و عكرمة ، و ابن جريج و الأكثرين . والعرب تقول : رأيت بعيني رؤية ورؤيا ، فلما ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس أنكر بعضهم ذلك ، وكذبوا فكان فتنة للناس . وقال قوم : [ أسري بروحه دون بدنه . وقال بعضهم : كان له معراجان : معراج رؤية بالعين ، ومعراج رؤيا بالقلب . وقال قوم ] . أراد بهذه الرؤيا ما رأى صلى الله عليه وسلم عام الحديبية أنه دخل مكة هو وأصحابه ، فجعل السير إلى مكة قبل الأجل فصدده المشركون ، فرجع إلى المدينة ، وكان رجوعه في ذلك العام بعد ما أخبر أنه يدخلها فتنة لبعضهم ، حتى دخلها في العام المقبل ، فأنزل الله تعالى : " لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق " ( الفتح - 27 ) " والشجرة الملعونة في القرآن " ، يعني شجرة الزقوم ، مجازة : والشجرة الملعونة المذكورة في القرآن ، والعرب تقول لكل طعام كربه : طعام ملعون . وقيل : [ معناه الملعون ] أكلها، ونصب الشجرة عطفاً على الرؤيا ، أي : وما

## سورة الإسراء

جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة إلا فتنة للناس ، فكانت الفتنة في الرؤيا ما ذكرنا . والفتنة في الشجرة الملعونة من وجهين ، أحدهما: أن أبا جهل قال : إن ابن أبي كبشة يوعدكم بنار تحرق الحجارة ، ثم يزعم أنه ينبت فيها شجرة ، وتعلمون أن النار تحرق الشجرة . والثاني أن عبد الله بن الزبيري قال : إن محمداً يخوفنا . بالزقوم ولا نعرف الزقوم إلا الزبد والتمر ، وقال أبو جهل : يا جارية تعالي فزقمينا فأنت بالتمر والزبد ، فقال : يا قوم [ تزقموا ] فإن هذا ما يخوفكم به محمد ، فوصفها الله تعالى في الصافات . وقيل : الشجرة الملعونة هي : التي تلتوي على الشجر فتجففه ، يعني الكشوث . " ونخوفهم فما يزيدهم " ، التخويف ، " إلا طغياناً كبيراً " أي : تمرداً وعتواً عظيماً .

61 - " وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أسجد لمن خلقت طيناً " أي : خلقت من طين أنا جئت به ، وذلك ما روي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : أن الله تعالى بعث إبليس حتى أخذ كفاً من تراب الأرض من عذبتها وملحها ، فخلق منه آدم ، فمن خلقه من العذب فهو سعيد ، وإن كان ابن كافرين ، ومن خلقه من الملح فهو شقي وإن كان ابن نبيين .

62 - " قال " ، يعني إبليس : " أرايتك " أي أخبرني ، والكاف لتأكيد المخاطبة ، " هذا الذي كرمت علي " أي : فضلته علي : " لئن أخرتن " أمهلتنني " إلى يوم القيامة لأحتكن ذريته " أي : لأستأصلنهم بالإضلال ، يقال احتنك الجراد الزرع إذا أكله كله . وقيل : هو من قول العرب حنك الدابة يحنكها : إذا شد في حنكها الأسفل حبلاً يقودها ، أي : لأقودنهم كيف شئت . وقيل : لأستولين عليهم بالإغواء ، " إلا قليلاً " ، يعني المعصومين الذين استثناءهم الله عز وجل في قوله : " إن عبادي ليس لك عليهم سلطان " ( الحجر - 42 ) .

63 - " قال " الله : " اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم " أي : جزاؤك وجزاء أتباعك ، " جزاءً موفوراً " ، وافرأً مكملأ ، يقال : وفرته أوفره وقرأ .

64 - وقوله : " واستغزز " ، واستخفف واستجهد " من استطعت منهم " ، أي : من ذرية آدم ، " بصوتك " ، قال ابن عباس و قتادة : بدعائك إلى معصية الله . وكل داع إلى معصية الله [ فهو من جند إبليس . قال الأزهري : معناه ادعهم دعاء تستغزهم به إلى جانبك ، أي : تستخفهم ] . وقال مجاهد : بالغناء والمزامير . " وأجلب عليهم بخيلك ورجلك " ، قيل : اجمع عليهم مكايذك وخيلك ، ويقال : ( أجلبوا ) ، و ( جلبوا ) ، إذا صاحوا ، يقول : صح بخيلك ورجلك وحنهم عليه بالإغواء . قال مقاتل : استعن عليهم بركبان جندك ومشايتهم ، والخيل : الركبان ، والرجل : المشاة . قال أهل التفسير : كل راكب وماش في معاصي الله فهو من جند إبليس .

## سورة الإسراء

وقال مجاهد و قتادة : إن له خيلاً ورجلاً من الجن والإنس ، وهو كل من يقاتل في المعصية ، والرجل ، والرجالة والراجلة واحد ، يقال : راجل ورجل ، مثل : تاجر وتجر ، وراكب وركب ، وقرأ حفص ورجلك بكسر الجيم وهما لغتان . " وشاركهم في الأموال والأولاد " فالمشاركة في الأموال : كل ما أصيب من حرام ، أو أنفق في حرام ، هذا قول مجاهد و الحسن و سعيد بن جبير . وقال عطاء : هو الربا وقال قتادة هو ما كان المشركون يحرمونه من الأنعام كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام . وقال الضحاك : هو ما كانوا يذبحونه لألهتهم . وأما الشركة في الأولاد : روي عن ابن عباس : أنها المؤودة . وقال مجاهد و الضحاك : هم أولاد الزنا . وقال الحسن ، و قتادة : هو أنهم هودوا أولادهم ، ونصروهم ، ومحسوهم . وعن ابن عباس رواية أخرى : هو تسميتهم الأولاد عبد الحارث و عبد شمس ، و عبد العزى ، و عبد الدار ، ونحوها . وروي عن جعفر بن محمد أن الشيطان يقعد على ذكر الرجل فإذا لم يقل : ( بسم الله ) أصاب معه امرأته ، وأنزل في فرجها كما ينزل الرجل . وروي في بعض الأخبار : إن فيكم مغربين ، قيل : وما المغربون ؟ قال : الذي يشارك فيهم الجن . وروي أن رجلاً قال لابن عباس : إن امرأتي استيقظت وفي فرجها شعلة من نار ؟ قال : ذلك من وطء الجن . وفي الآثار : إن إبليس لما أخرج إلى الأرض ، قال : يا رب أخرجتني من الجنة لأجل آدم ، فسلطني عليه وعلى ذريته ، قال : أنت مسلط ، فقال : لا أستطيعه إلا بك فزدني ، قال : استغرز من استطعت منهم بصوتك ، الآية ، فقال آدم : يا رب سلطت إبليس علي وعلى ذريتي وإني لا أستطيعه إلا بك قال : لا يولد لك ولد إلا وكلت به من يحفظونه ، قال : زدني ، قال : الحسنة بعشرة أمثالها ، والسيئة بمثلها ، قال : زدني ، قال : التوبة معروضة ما دام الروح في الجسد ، فقال : زدني ، قال : " يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم " الآية ( الزمر - 53 ) . وفي الخبر : أن إبليس قال : يا رب بعثت أنبياء وأنزلت كتباً فما قراءتي ؟ قال : الشعر ، قال : فما كتابي ؟ قال الوشم ، قال : ومن رسلي ؟ قال : الكهنة ، قال : وأين مسكني ؟ قال : الحمامات ، قال : وأين مجلسي ؟ قال : الأسواق ، قال : أي شيء مطعمي ؟ قال : ما لم يذكر عليه اسمي ، قال : ما شرابي ؟ قال : كل مسكر ، قال : وما حبالتي ؟ قال : النساء ، قال : وما أذاني ؟ قال : المزامير . قوله عز وجل : " وعدهم " ، أي : منهم الجميل في طاعتك . وقيل : قل لهم : لا جنة ولا نار ولا بعث . " وما بعدهم الشيطان إلا غروراً " ، والغرور تزيين الباطل بما يظن أنه حق . فإن قيل : كيف ذكر الله هذه الأشياء وهو يقول : " إن الله لا يأمر بالفحشاء " ( الأعراف - 28 ) ؟ قيل : هذا على طريق التهديد ، كقوله تعالى : " اعملوا ما شئتم " ( فصلت - 40 ) ، وكقول القائل : افعل ما شئت فستري .

## سورة الإسراء

65 - قوله : " إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ، وكفى بربك وكيلاً " ، أي حافظاً من يوكل الأمر إليه .

66 - قوله عز وجل : " ربكم الذي يزجي لكم الفلك " أي : يسوق ويجري لكم الفلك ، " في البحر لتبتغوا من فضله " ، لتطلبوا من رزقه ، " إنه كان بكم رحيماً " .

67 - " وإذا مسكم الضر " ، الشدة وخوف الغرق ، " في البحر ضل " ، أي : بطل وسقط ، " من تدعون " ، من الآلهة ، " إلا إياه " ، إلا الله فلم تجدوا مغيثاً غيره وسواه ، " فلما نجاكم " ، أجاب دعاءكم وأنجاكم من هول البحر وأخرجكم ، " إلى البر أعرضتم " ، عن الإيمان والإخلاص والطاعة ، كفرأ منكم لنعمه ، " وكان الإنسان كفوراً " .

68 - " أفأمنتم " ، بعد ذلك ، " أن يخسف بكم " ، يغور بكم ، " جانب البر " ناحية البر وهي الأرض ، " أو يرسل عليكم حاصباً " ، أي : بمطر عليكم حجارةً من السماء كما أمطر على قوم لوط . قال أبو عبيدة و القتيبي : الحاصب الريح التي ترمي بالحصباء ، وهي الحصى الصغار ، " ثم لا تجدوا لكم وكيلاً " ، قال قتادة : مانعاً .

69 - " أم أمنتم أن يعيدكم فيه " ، يعني في البحر ، " تارة " مرة ، " أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح " ، قال ابن عباس : أي : عاصفاً وهي الريح الشديدة . وقال أبو عبيدة : هي الريح التي تقصف كل شيء ، أي تدقه وتحطمه . وقال القتيبي : هي التي تقصف الشجر ، أي تكسره . " فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا " ، ناصراً ولا تائراً ، و ( تبع ) بمعنى تابع ، أي تابعاً مطالباً بالنار . وقيل : من يتبعنا بالإنكار . قرأ ابن كثير و أبو عمرو ( أن نخسف ، ونرسل ، ونعيدكم ، فنرسل ، فنغرقكم ) ، بالنون فيهن ، لقوله ( علينا ) . وقرأ الآخرون بالياء لقوله : ( إلا إياه ) ، وقرأ أبو جعفر و يعقوب " فيغرقكم " بالتاء يعني الريح .

70 - قوله عز وجل : " ولقد كرمنا بني آدم " ، روي عن ابن عباس أنه قال : هو أنهم يأكلون بالأيدي ، غير الآدمي يأكل بفيه من الأرض . وروي عنه أنه قال : بالعقل . وقال الضحاك : بالنطق . وقال عطاء : بتعديل القامة وامتدادها ، والدواب منكبة على وجوهها . وقيل : بحسن الصورة . وقيل : الرجال باللحي ، والنساء بالذوائب . وقيل : بأن سخر لهم سائر الأشياء . وقيل : بأن منهم خير أمة أخرجت للناس . " وحملناهم في البر والبحر " ، أي : حملناهم في البر على الدواب وفي البحر على السفن . " ورزقناهم من الطيبات " ، يعني : لذيق المطاعم والمشارب . قال مقاتل : السمن ، والزبد ، والتمر ، والحلوى ، وجعل رزق غيرهم مالا يخفى . " وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً " ،

## سورة الإسراء

وظاهر الآية أنه فضلهم على كثير ممن خلقهم لا على الكل .  
وقال قوم: فضلوا على جميع الخلق إلا على الملائكة . وقال  
الكلبي : فضلوا على الخلائق كلهم إلا على طائفة من الملائكة :  
جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وملك الموت ، وأشباههم . وفي  
تفضيل الملائكة على البشر اختلاف ، فقال قوم : فضلوا على  
جميع الخلق وعلى الملائكة كلهم ، قد يوضع الأكثر موضع الكل  
كما قال تعالى: " هل أنبئكم على من تنزل الشياطين " إلى قوله  
تعالى : " وأكثرهم كاذبون " ( الشعراء - 221/ 222 ) . أي : كلهم .  
وفي الحديث عن جابر يرفعه قال : " لما خلق الله آدم وذريته  
قالت الملائكة : يا رب خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون ،  
فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة ، فقال تعالى : لا أجعل من خلقتهم  
بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له : كن فكان " . والأولى  
أن يقال : عوام المؤمنين أفضل من عوام الملائكة ، وخواص  
المؤمنين أفضل من خواص الملائكة . قال الله تعالى : " إن الذين  
آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية " ( البينة - 7 ) .  
وروي عن أبي هريرة أنه قال : المؤمن أكرم على الله من  
الملائكة الذين عنده .

71 - قوله عز وجل : " يوم ندعوا كل أناس بإمامهم " ، قال  
مجاهد ، قتادة : بنبيهم . وقال : أبو صالح والضحاك : بكتابهم  
الذي أنزل عليهم . وقال الحسن و أبو العالية : بأعمالهم . وقال  
قتادة أيضاً : بكتابهم الذي فيه أعمالهم ، بدليل سياق الآية .  
فمن أوتي كتابه بيمينه " ، ويسمى الكتاب إماماً كما قال عز وجل  
: " وكل شيء أحصيناه في إمام مبين " ( يس - 12 ) . وعن سعيد  
بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما : بإمام زمانهم الذي  
دعاهم في الدنيا إلى ضلالة أو هدى ، قال الله تعالى :  
" وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا " ( الأنبياء - 73 ) ، وقال :  
" وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار " ( القصص - 41 ) . وقيل :  
بمعبودهم . وعن سعيد بن المسيب قال : كل قوم يجتمعون إلى  
رئيسهم في الخير والشر . وقال محمد بن كعب : " بإمامهم " ،  
قيل : بعني بأمهاتهم ، وفيه ثلاثة أوجه من الحكمة أحدها : لأجل  
عيسى عليه السلام ، والثاني : لشرف الحسن والحسين ، والثالث  
: لئلا يفتضح أولاد الزنا . " فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك  
يقرؤون كتابهم ولا يظلمون فتيلاً " أي : لا ينقص من حقهم قدر  
فتيل .

72 - " ومن كان في هذه أعمى " ، اختلفوا في هذه الإشارة ،  
فقال قوم : هي راجعة إلى النعم التي عددها الله تعالى في هذه  
الآيات من قوله : " ربكم الذي يزجي لكم الفلك " إلى قوله  
تفضيلاً " يقول : ومن كان منكم في هذه النعم التي قد عاين  
أعمى ، " فهو في " ، في أمر ، " الآخرة " ، التي لم يعاين ولم ير ،

## سورة الإسراء

" أعمى وأضل سبيلاً " ، يروى هذا عن ابن عباس . وقال الآخرون : هي راجعة إلى الدنيا، يقول : من كان في هذه أعمى القلب عن رؤية قدرة الله وآياته ورؤية الحق ، فهو في الآخرة أعمى ، وأضل سبيلاً ، أي : أخطأ طريقاً . وقيل : من كان في هذه الدنيا أعمى عن الاعتبار ، فهو في الآخرة أعمى عن الاعتذار . وقال الحسن : من كان في هذه الدنيا ضالاً كافراً ، فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً ، لأنه في الدنيا تقبل توبته وفي الآخرة لا تقبل توبته . وأمال بعض القراء هذين الحرفين ، وفتحهما بعضهم ، وكان أبو عمر يكسر الأول ويفتح الثاني ، فهو في الآخرة أشد عمى ، لقوله : " وأضل سبيلاً " .

73 - قوله عز وجل : " وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك " الآية ، اختلفوا في سبب نزولها: قال سعيد بن جبير : كان النبي صلى الله عليه وسلم يستلم الحجر الأسود فممنعته قريش ، وقالوا : [ لا تلم ] حتى تلم بالهتنا وتمسها ، فحدث نفسه : ما علي أن أفعل ذلك والله تعالى يعلم أنني لها كاره ، بعد أن يدعوني حتى أستلم الحجر الأسود . وقيل : طلبوا منه أن يمس ألتهم حتى يسلموا ويتبعوه فحدث نفسه بذلك ، فأنزل الله هذه الآية . وقال ابن عباس : " قدم وفد ثقيف على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : نباعك على أن تعطينا ثلاث خصال ، قال : وما هن ؟ قالوا : أن لا ننحني - أي في الصلاة - ولا نكسر أصنامنا بأيدينا ، وأن تمتعنا باللات سنة من غير أن نعبدها . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود ، وأما أن تكسروا أصنامكم بأيديكم فذاك لكم ، وأما الطاغية - يعني اللات والعزى - فإني غير ممتعكم بها ، فقالوا : يا رسول الله إنا نحب أن نسمع العرب أنك أعطيتنا ما لم تعط غيرنا ، فإن خشيت أن تقول العرب أعطيتهم ما لم تعطنا ، فقل : الله أمرني بذلك ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطمع القوم في سكوته أن يعطيهم ذلك ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية " : " وإن كادوا ليفتنونك " ليصرفونك " عن الذي أوحينا إليك " " لتفتري " ، لتخلق ، " علينا غيره وإذا " ، لو فعلت ما دعوك إليه " لاتخذوك خليلاً " أي : والوك وصافوك .

74 - " ولولا أن ثبتناك " ، على الحق بعصمتنا ، " لقد كدت تركن " أي : تميل ، " إليهم شيئاً قليلاً " أي : قريباً من الفعل . فإن : قيل : كان النبي صلى الله عليه وسلم معصوماً ، فكيف يجوز أن يقرب مما طلبوه وما طلبوه كفر ؟ . قيل : كان ذلك خاطر قلب ، ولم يكن عزمًا وقد غفر الله عز وجل عن حديث النفس . قال قتادة : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول بعد ذلك : " اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفه عين " . والجواب الصحيح هو : أن الله تعالى قال : " ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً " .

## سورة الإسراء

وقد ثبته الله ، ولم يركن ، وهذا مثل قوله تعالى : " ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً " ( النساء - 83 ) ، [ وقد تفضل فلم يتبعوا ] .

75 - " إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات " ، أي : لو فعلت ذلك لأذقناك ضعف عذاب الحياة ، وضعف عذاب الممات ، يعني : أضعفنا لك العذاب في الدنيا والآخرة . وقيل : ( الضعف ) : هو العذاب ، سمي ضعفاً لتضاعف الألم فيه . " ثم لا تجد لك علينا نصيراً " ، أي : ناصرأ يمنعك من عذابنا .

76 - قوله تعالى : " وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها " ، اختلفوا في معنى الآية ، فقال بعضهم : هذه الآية مدنية . قال الكلبي : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة حسداً منهم ، فأتوه وقالوا : يا أبا القاسم لقد علمت ما هذه بأرض الأنبياء فإن أرض الأنبياء الشام ، [ وهي الأرض المقدسة ، وكان بها إبراهيم والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فإن كنت نبياً مثلهم فات الشام ] ، وإنما يمنعك من الخروج إليها مخافتك الروم ، وإن الله سيمنعك من الروم إن كنت رسوله ، فعسكر النبي صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أميال من المدينة . وفي رواية : إلى ذي الحليفة حتى يجتمع إليه أصحابه ويخرج ، فأنزل الله هذه الآية و ( الأرض ) هاهنا هي المدينة . وقال مجاهد و قتادة : ( الأرض ) أرض مكة . والآية مكية ، هم المشركون أن يخرجوه منها ، فكفهم الله عنه حتى أمره بالهجرة ، فخرج بنفسه . وهذا أليق بالآية لأن ما قبلها خبر عن أهل مكة والسورة مكية . وقيل : هم الكفار كلهم ، أرادوا أن يستفروه من أرض العرب باجتماعهم وتظاهرهم عليه ، فمنع الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم ولم ينالوا منه ما أملوا . والاستفزاز هو الإزعاج بسرعة . " وإذا لا يلبثون خلافاً " أي : بعدك ، وقرأ ابن عامر و حمزة و الكسائي و حفص و يعقوب " خلافاً " اعتباراً بقوله تعالى : " فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله " ( التوبة - 81 ) ، ومعناها واحد . " إلا قليلاً " أي : لا يلبثون بعدك إلا قليلاً حتى يهلكوا ، فعلى هذا القول الأول : مدة حياتهم ، وعلى الثاني : ما بين خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة إلى أن قتلوا ببدر .

77 - قوله عز وجل : " سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا " أي : كسنتنا ، فانتصب بحذف الكاف . وسنة الله في الرسل إذا كذبتهم الأمم أن لا يعذبهم ما دام نبيهم بين أظهرهم ، فإذا خرج نبيهم من بين أظهرهم عذبهم . " ولا تجد لسنتنا تحويلاً " ، أي تبديلاً .

78 - قوله : " أقم الصلاة لدلوك الشمس " ، اختلفوا في الدلوك : روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال : الدلوك هو الغروب . وهو قول إبراهيم النخعي ، و مقاتل بن حيان ، و الضحاك ، و السدي .

## سورة الإسراء

وقال ابن عباس : وابن عمر ، وجابر : هو زوال الشمس ، وهو قول عطاء ، و قتادة ، و مجاهد ، و الحسن ، و أكثر التابعين . ومعنى اللفظ يجمعهما لأن أصل الدلوك الميل ، والشمس تميل إذا زالت وإذا غربت . والحمل على الزوال أولى القولين لكثرة القائلين به ، ولأننا إذا حملناه عليه كانت الآية جامعة لمواقيت الصلاة كلها ، ( فدلوك الشمس ) : يتناول صلاة الظهر والعصر ، و ( إلى غسق الليل ) : يتناول المغرب والعشاء ، و ( قرآن الفجر ) : هو صلاة الصبح . قوله عز وجل : " إلى غسق الليل " ، أي : ظهور ظلمته ، وقال ابن عباس : بدو الليل . وقال قتادة : وقت صلاة المغرب . وقال مجاهد : غروب الشمس . " وقرآن الفجر " ، يعني : صلاة الفجر ، سمي صلاة الفجر قرآناً لأنها لا تجوز إلا بقرآن ، وانتصاب القرآن من وجهين ، أحدهما : أنه عطف على الصلاة ، أي : وأقم قرآن الفجر ، قاله الفراء ، وقال أهل البصرة : على الإغراء أي وعليك قرآن الفجر . " إن قرآن الفجر كان مشهوداً " ، أي : يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار . أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي ، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي ، أنبأنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا أبو اليمان ، أنبأنا شعيب عن الزهري ، أخبرني سعيد بن المسيب و أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " تفضل صلاة الجميع على صلاة أحدكم وحده بخمس وعشرين جزءاً ، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر " ثم يقول أبو هريرة : اقرؤوا إن شئتم : " إن قرآن الفجر كان مشهوداً " .

79 - قوله تعالى : " ومن الليل فتهجد به " أي : قم بعد نومك ، والتهجد لا يكون إلا بعد النوم ، يقال : تهجد إذا قام بعدما نام . وهجد إذا نام . والمراد من الآية : قيام الليل للصلاة . وكانت صلاة الليل فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم في الابتداء ، وعلى الأمة ، لقوله تعالى : " يا أيها المزمل \* قم الليل إلا قليلاً " ( المزمل - 1 ) ثم نزل التخفيف فصار الوجوب منسوخاً في حق الأمة بالصلوات الخمس ، وبقي الاستحباب : قال الله تعالى : " فاقرؤوا ما تيسر منه " ( المزمل - 20 ) ، وبقي الوجوب في حق النبي صلى الله عليه وسلم . وروي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ثلاث هن علي فريضة ، وهن سنة لكم : الوتر [ والسواك ] وقيام الليل " . قوله عز وجل : " نافلةً لك " أي : زيادة لك ، يريد : فضيلة زائدة ، على سائر الفرائض ، فرضها الله عليك . وذهب قوم إلى أن الوجوب صار منسوخاً في حقه كما في حق الأمة ، فصارت نافلة ، وهو قول مجاهد و قتادة ، لأن الله تعالى قال : " نافلة لك " ولم يقل عليك . فإن قيل : فما معنى التخصيص وهي زيادة في حق كافة

## سورة الإسراء

المسلمين كما في حقه صلى الله عليه وسلم ؟ . قيل : التخصيص من حيث إن نوافل العباد كفارة لذنوبهم ، والنبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فكانت نوافله لا تعمل في كفارة الذنوب فتبقى له زيادة في رفع الدرجات .

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني ، أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي ، أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب ، حدثنا أبو عيسى الترمذي ، حدثنا قتيبة و بشر بن معاذ قالوا : حدثنا أبو عوانة عن زيادة بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال : " قام النبي صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه فقيل له : أتتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أكون عبداً شكوراً " . أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي ، أخبرنا زاهر بن أحمد ، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي ، أخبرنا أبو مصعب بن مالك ، عن عبد الله بن أبي بكر عن أبيه عن عبد الله بن قيس بن مخزومة أنه أخبره عن يزيد بن خالد الجهني أنه قال : لأرمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم : الليلة ، فتوسدت عنته أو فسطاطه ، فقام فصلى ركعتين خفيفتين ، ثم صلى ركعتين طويلتين ، ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ، [ ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ، ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ] ، ثم أوتر فلذلك ثلاث عشرة ركعة . أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي ، أخبرنا زاهر بن أحمد ، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي ، أخبرنا أبو مصعب ، عن مالك ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه أخبره أنه سأله عائشة رضي الله عنها : كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان ؟ قال : فقالت : " ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في رمضان ، ولا في غيره ، على إحدى عشرة ركعة ، يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي ثلاثاً . قالت عائشة فقلت : يا رسول الله أتنام قبل أن توتر ؟ فقال : يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي " . أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي ، أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الاسفرايني ، أخبرنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق ، أخبرنا يونس بن هارون بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني يونس ، و ابن أبي ذئب ، و عمر بن الحارث ، أن ابن شهاب أخبرهم عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيما بين أن يفرغ من صلاة العشاء إلى الفجر إحدى عشرة ركعة ، يسلم من كل ركعتين ، ثم يوتر بواحدة ، فيسجد السجدة قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه ، فإذا سكت المؤذن من أذان الفجر ، وتبين له الفجر ، قام فركع ركعتين خفيفتين ، ثم اضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن

## سورة الإسراء

للإقامة فيخرج " . وبعضهم يزيد على بعض . أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري ، أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي ، أخبرنا عبد الرحمن بن منيب ، أخبرنا يزيد بن هارون ، أخبرنا حميد الطويل ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : ما كنا نشاء أن نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم مصلياً إلا رأيناه ، ولا نشاء أن نراه نائماً إلا رأيناه ، وقال : كان يصوم من الشهر حتى نقول لا يفطر منه شيئاً ، ويفطر حتى نقول لا يصوم منه شيئاً . قوله عز وجل : " عسى أن يعثك ربك مقاماً محموداً " عسى من الله تعالى واجب ، لأنه لا يدع أن يعطي عباده أو يفعل بهم ما أطمعهم فيه . والمقام المحمود هو : مقام الشفاعة لأمته لأنه يحمد فيه الأولون والآخرون : أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي ، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان ، أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الريان ، حدثنا حميد بن زنجويه ، أخبرنا عبد الله بن يزيد المقرئ ، أخبرنا حياة عن كعب عن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول : ثم صلوا علي ، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة " . أخبرنا عبد الواحد المليحي ، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي ، أخبرنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا علي بن عباس ، حدثنا سعيد بن أبي حمزة ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، أت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، حلت له شفاعتي يوم القيامة " . أخبرنا أبو حامد بن عبد الله الصالحي ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري ، أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي ، أخبرنا عبد الرحيم بن منيب ، أخبرنا يعلى عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن لكل نبي دعوة مستجابة وإني اختبأت دعوتي شفاعةً لأمتي ، وهي نائلة منكم - إن شاء الله - من مات لا يشرك بالله شيئاً " . أخبرنا عبد الواحد المليحي ، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي ، أخبرنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل قال : قال حجاج بن منهال ، حدثنا همام بن يحيى ، حدثنا قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهتموا بذلك ، فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا ، فيأتون آدم فيقولون : أنت آدم أبو الناس ، خلقك الله بيده ، وأسكنك جنته ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك

## سورة الإسراء

أسماء كل شيء ، اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا ،  
 فيقول : لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب وأكله من  
 الشجرة ، وقد نهى عنها ، ولكن ائتوا نوحاً أول نبي بعثه الله إلى  
 أهل الأرض . فيأتون نوحاً فيقول : لست هناكم ، ويذكر خطيئته  
 التي أصاب ، سؤاله ربه بغير علم ، ولكن ائتوا إبراهيم خليل  
 الرحمن ، قال فيأتون إبراهيم ، فيقول : لست هناكم ويذكر ثلاث  
 كذبات كذبهن ، ولكن ائتوا موسى عبداً أتاه الله التوراة وكلمه  
 وقربه نجياً . قال : فيأتون موسى ، فيقول : إني لست هناكم ،  
 ويذكر خطيئته التي أصاب بقتل النفس ، ولكن ائتوا عيسى ، عبد  
 الله ورسوله وروح الله وكلمته . فيأتون عيسى ، فيقول : لست  
 هناكم ولكن ائتوا محمداً عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما  
 تأخر . قال : فيأتوني فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه  
 ، فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقول  
 : ارفع رأسك يا محمد ، وقل تسمع واشفع تشفع ، وسل تعطه ،  
 قال : فأرفع رأسي ، فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ، ثم  
 أشفع فيجد لي حداً فأخرج ، فأدخلهم الجنة " . قال قتادة :  
 وسمعته أيضا يقول : " فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة  
 ، ثم أعود فأستأذن على ربي في داره ، فيؤذن لي عليه ، فإذا رأيته  
 وقعت له ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقول : ارفع  
 رأسك يا محمد ، وقل تسمع ، واشفع تشفع ، وسل تعطه ، قال :  
 فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ، ثم أشفع  
 فيجد لي حداً فأخرج فأدخلهم الجنة ، [ ثم أعود الثالثة فأستأذن  
 على ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجداً  
 فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقول : ارفع رأسك يا محمد ،  
 وقل تسمع ، واشفع تشفع وسل تعطه ، قال : فأرفع رأسي  
 فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيجد لي حداً  
 فأخرج فأدخلهم الجنة ] " . قال قتادة : وقد سمعته أيضاً يقول :  
 " فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى في  
 النار إلا من حبسه القرآن " - أي وجب عليه الخلود - قال : ثم تلا  
 هذه الآية : " عسى أن يعثك ربك مقاماً محموداً " [ قال : وهذا  
 المقام المحمود ] الذي وعده نبيكم صلى الله عليه وسلم ] .  
 وبهذا الإسناد قال : حدثنا [ محمد بن إسماعيل حدثنا ] سليمان  
 بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا معبد بن هلال الغزي قال :  
 ذهبنا إلى أنس بن مالك فذكر حديث الشفاعة ، بمعناه ، قال :  
 فأستأذن على ربي فيؤذن لي ، ويلهمني محامداً أحمد به لا  
 تحضرني الآن ، فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجداً ، فيقال : يا  
 محمد ارفع رأسك وقل تسمع [ وسل تعطه ] واشفع تشفع ،  
 فأقول : يا رب أمتي أمتي ، فيقول : انطلق فأخرج منها من كان  
 في قلبه مثقال شعيرة من إيمان ، فأنتطلق فأفعل ، ثم أعود  
 فأحمده بتلك المحامد ثم أخرج له ساجداً وذكر مثله ، فيقال : انطلق

## سورة الإسراء

فأخرج من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان . فأنطلق فأفعل ، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخر له ساجداً ، وذكر مثله ، ثم يقال : انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان ، فأنطلق فأفعل ، فلما خرجنا من عند أنس مررنا بالحسن فسلمنا عليه فحدثناه بالحديث إلى هذا الموضوع ، فقال : هيه ، فقلنا : لم يزدنا على هذا ، فقال : لقد حدثني وهو [ يومئذ جميع ] منذ عشرين سنة كما حدثكم ، ثم قال : ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخر له ساجداً فيقال : يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع فأقول يا ربّي أأذن فيمن قال لا إله إلا الله ؟ فيقول : وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله . وروي عن عبد الله بن عمر قال : إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن ، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ، ثم بموسى ، ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم [ فيشفع ليقضى بين الخلق ، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب ، فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً ، يحمده أهل الجمع كلهم . وأخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي ، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد [ بن ماموية ، حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ، حدثنا محمد بن حموية ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا منصور بن أبي الأسود ، حدثنا الليث ، عن الربيع بن أنس ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أنا أولهم خروجاً [ إذا بعثوا ] ، وأنا قائدهم إذا وفدوا ، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا ، وأنا شفيعهم إذا حبسوا [ وأنا مبشرهم إذا أيسوا ] الكرامة ، والمفاتيح يومئذ بيدي ، ولواء الحمد يومئذ بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم على ربّي ، يطوف علي ألف خادم كأنهم بيض مكنون ، أو لؤلؤ منثور " . أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر ، أخبرنا عبد الغافر بن محمد ، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي ، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ، حدثنا مسلم بن الحجاج ، حدثني الحكم بن موسى ، حدثنا معقل بن زياد عن الأوزاعي ، حدثني أبو عمار ، حدثني عبد الله بن فروخ ، حدثني أبو هريرة قال : قال رضي الله عنه : " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع ، وأول مشفع " . والأخبار في الشفاعة كثيرة ، وأول من أنكرها عمرو بن عبيد وهو مبتدع باتفاق أهل السنة . وروي عن يزيد بن صهيب الفقير قال : كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج ، وكنت رجلاً شاباً فخرجنا نريد أن نحج ، فمررنا على المدينة ، فإذا جابر بن عبد الله يحدث القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر الجهنميين ، فقلت له : يا صاحب رسول الله ما هذا الذي يحدثون والله عز وجل يقول : " إنك من تدخل النار فقد أجزيت " ( آل عمران - 192 ) و " كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها " ( السجدة - 20 ) فقال : يا فتى تقرأ القرآن ؟

## سورة الإسراء

قلت : نعم ، قال : هل سمعت بمقام محمد المحمود الذي يبعثه الله فيه ؟ قلت : نعم ، قال : فإنه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج من النار ، [ ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه ] ، وأن قوماً يخرجون من النار بعد ما يكونون فيها ، قال : فرجعنا وقلنا أترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ . وروي عن أبي وائل عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله عز وجل اتخذ إبراهيم خليلاً ، وإن صاحبكم حبيب الله وأكرم الخلق على الله ، ثم قرأ : " عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً " [ قال : يقعد على العرش ] . [ وعن مجاهد في قوله تعالى : " عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً " ، قال : يجلسه على العرش ] . وعن عبد الله بن سلام قال : يقعه على الكرسي .

80 - قوله عز وجل : " وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق " ، والمراد من المدخل والمخرج : الإدخال والإخراج ، واختلف أهل التفسير فيه : فقال ابن عباس والحسن و قتادة : " أدخلني مدخل صدق " : المدينة . ( وأخرجني مخرج صدق ) : مكة ، نزلت حين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة . وقال الضحاك : " وأخرجني مخرج صدق " : من مكة أمناً من المشركين ، ( وأدخلني مدخل صدق ) : مكة ظاهراً عليها بالفتح . وقال مجاهد : أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مدخل صدق الجنة ، وأخرجني من الدنيا ، وقد قمت بما وجب علي من حقها ، مخرج صدق . وعن الحسن أنه قال : " أدخلني مدخل صدق " : الجنة ، " وأخرجني مخرج صدق " : من مكة . وقيل : أدخلني في طاعتك ، وأخرجني من المناهي ، وقيل : معناه أدخلني حيث ما أدخلتني بالصدق ، وأخرجني بالصدق ، أي : لا تجعلني ممن يدخل بوجه ويخرج بوجه ، فإن ذا الوجهين لا يكون أمناً ووجهياً عند الله . ووصف الإدخال والإخراج بالصدق لما يؤول إليه الخروج والدخول من النصر والعز ودولة الدين ، كما وصف القدم بالصدق فقال : " أن لهم قدم صدق عند ربهم " ( يونس - 2 ) . " واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً " ، قال مجاهد : حجة بينة . وقال الحسن ملكاً قوياً تنصرتني به على من ناوأني وعزاً ظاهراً أقيم به دينك . فوعده الله لينزعن ملك فارس والروم وغيرهما فيجعله له . قال قتادة : علم نبي الله صلى الله عليه وسلم أن لا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان [ نصير ] ، فسأل سلطاناً نصيراً : كتاب الله ، وحدوده ، وإقامة دينه .

81 - قوله عز وجل : " وقل جاء الحق " ، يعني القرآن ، " وزهق الباطل " ، أي : ذهب الشيطان ، قال قتادة ، وقال السدي : ( الحق ) : الإسلام ، و ( الباطل ) : الشرك . وقيل : ( الحق ) : عبادة الله ، و ( الباطل ) : عبادة الأصنام . " إن الباطل كان زهوقاً

## سورة الإسراء

" ذاهباً ، يقال : زهقت نفسه أي خرجت . أخبرنا عبد الواحد المليحي ، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي ، حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا صدقة بن الفضل ، حدثنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد عن أبي معمر بن عبد الله ، قال : " دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب ، فجعل يطعنها بعود [ في يده ] ويقول : " جاء الحق وزهق الباطل " ، " جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد " . "

82 - قوله عز وجل : " وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين " ، قيل : ( من ) ليس للتبعيض ، ومعناه : وننزل من القرآن ما كله شفاء ، أي : بيان من الضلالة والجهالة ، يتبين به المختلف ، ويتضح به المشكل ، ويستشفى به من الشبهة ، ويهتدى به من الحيرة ، فهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها رحمة للمؤمنين . " ولا يزيد الظالمين إلا خساراً " ، لأن الظالم لا ينتفع به ، والمؤمن من ينتفع به فيكون رحمة له . وقيل : زيادة الخسارة للظالم من حيث أن كل آية تنزل يتجدد منهم تكذيب ويزداد لهم خسارة . قال قتادة لم يجالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه زيادة أو نقصان ، قضى الله الذي قضى شفاء ورحمة للمؤمنين ، ولا يزيد الظالمين إلا خساراً .

83 - قوله تعالى : " وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض " ، عن ذكرنا ودعائنا ، " ونأى بجانبه " ، أي تباعد عنا بنفسه ، أي ترك التقرب إلى الله بالدعاء . وقال عطاء : تعظم وتكبر ، ويكسر النون والهمزة حمزة و الكسائي ، و يفتح النون ويكسر الهمزة أبو بكر ، وقرأ ابن عامر و أبو جعفر ( ونا ) مثل جاء قيل : هو بمعنى نأى ، وقيل : ناء من النوء وهو النهوض والقيام . " وإذا مسه الشر " ، الشدة والضرر ، " كان يؤوساً " ، أي أيساً قنوطاً . وقيل : معناه أنه يتضرع ويدعو عند الضرر والشدة ، فإذا تأخرت الإجابة يئس ولا ينبغي للمؤمن أن يئس من الإجابة ، وإن تأخرت فيدع الدعاء .

84 - قوله عز وجل : " قل كل يعمل على شاكلته " ، قال ابن عباس : على ناحيته . وقال الحسن و قتادة : على نيته . قال مقاتل : على خليفته قال الفراء على طريقته التي جبل عليها . وقال القتيبي : على طبيعته وجبلته . وقيل : على السبيل الذي اختاره لنفسه ، وهو من الشكل ، يقال : لست على شكلي ولا شاكلتي ، وكلها متقاربة ، تقول العرب : طريق ذو شواكل إذا تشعبت منه الطرق . ومجاز الآية : كل يعمل على ما يشبهه ، كما يقال في المثل : كل امرئ يشبهه فعله . " فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً " أوضح طريقاً .

85 - قوله تعالى : " ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي " الآية . أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي ، أخبرنا أحمد بن عبد

## سورة الإسراء

الله النعمي ، أخبرنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا قيس بن حفص ، حدثنا عبد الواحد - يعني ابن زياد - حدثنا الأعمش عن إبراهيم ، عن علقمة عن عبد الله قال : بينا أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث المدينة ، وهو يتوكأ على عسيب معه ، فمر بنفر من اليهود ، فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ، وقال بعضهم : لا تسألوه ، لا يحيى فيه بشيء ، تكرهونه ، فقال بعضهم لنسألنه ، فقام رجل منهم ، فقال : يا أبا القاسم ما الروح ؟ فسكت ، فقلت : إنه يوحى إليه ، فقامت ، فلما أنجلى عنه الوحي ، قال : " ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً " قال الأعمش : هكذا في قراءتنا . وروي عن ابن عباس أنه قال : إن قريشاً قد اجتمعوا وقالوا : إن محمداً نشأ فينا بالأمانة والصدق وما اتهمناه بكذب ، وقد ادعى ما ادعى ، فابعثوا نفرأ إلى اليهود بالمدينة واسألوهم عنه فإنهم أهل كتاب فبعثوا جماعة إليهم ، فقالت اليهود : سلوه عن ثلاثة أشياء ، فإن أجاب عن كلها أو لم يجب عن شيء منها ، فليس نبي ، وإن أجاب عن اثنتين ولم يجب عن واحدة فهو نبي ، فسلوه عن فتية فقدوا في الزمن الأول ، ما كان من أمرهم ؟ فإنه كان لهم حديث عجيب ، وعن رجل بلغ شرق الأرض وغربها ما خبره ، وعن الروح ؟ فسألوه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أخبركم بما سألتهم غداً ولم يقل إن شاء الله ، فلبث الوحي - قال مجاهد : اثني عشرة ليلة ، وقيل : خمسة عشر يوماً وقال عكرمة : أربعين يوماً - وأهل مكة يقولون : وعدنا محمد غداً وقد أصبحنا لا نخبرنا بشيء ، حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم من مكث الوحي وشق عليه ما يقوله أهل مكة ، ثم نزل جبريل بقوله " ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً \* إلا أن يشاء الله " ، ونزلت قصة الفتية " أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً " ، ونزل فيمن بلغ الشرق والغرب " ويسألونك عن ذي القرنين " ، ونزل في الروح " ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي " . واختلفوا في الروح الذي وقع السؤال عنه ، فروي عن ابن عباس : أنه جبريل ، وهو قول الحسن و قتادة . وروي عن علي أنه قال : هو ملك له سبعون ألف وجه ، لكل وجه سبعون ألف لسان ، يسبح الله تعالى بكلها . وقال مجاهد : خلق على صور بني آدم ، لهم أيد وأرجل ورؤوس ، وليسوا بملائكة ، ولا ناس ، يأكلون الطعام . وقال سعيد بن جبیر : لم يخلق الله تعالى خلقاً أعظم من الروح غير العرش ، لو شاء أن يبتلع السموات السبع والأرضين السبع ومن فيها بلقمة واحدة لفعل ، صورة خلقه على صورة خلق الملائكة وصورة وجهه على صورة آدميين ، يقوم يوم القيامة عن يمين العرش وهو أقرب الخلق إلى الله عز وجل اليوم عند الحجب السبعين ، وأقرب إلى الله يوم القيامة وهو ممن يشفع لأهل التوحيد ، ولولا أن بينه وبين الملائكة ستراً

## سورة الإسراء

من نور لا تحرق أهل السموات من نوره . وقيل : الروح هو القرآن . وقيل : المراد منه عيسى عليه السلام ، فإنه روح الله وكلمته ، ومعناه : أنه ليس كما يقول اليهود ولا كما يقوله النصارى . وقال قوم : هو الروح المركب في الخلق الذي يحيا به الإنسان ، وهو الأصح . وتكلم فيه قوم فقال بعضهم : هو الدم ، ألا ترى أن الحيوان إذا مات لا يفوت منه شيء إلا الدم ؟ . وقال قوم : هو نفس الحيوان ، بدليل أنه يموت باحتباس النفس . وقال قوم : هو عرض . وقال قوم : هو جسم لطيف . وقال بعضهم : الروح معنى اجتمع فيه النور والطيب والعلو والبقاء ، ألا ترى أنه إذا كان موجوداً يكون الإنسان موصوفاً بجميع هذه الصفات ، فإذا خرج ذهب الكل ؟ . وأولى الأقاويل : أن يوكل علمه إلى الله عز وجل ، وهو قول أهل السنة . قال عبد الله بن بريدة إن الله لم يطلع على الروح ملكاً مقرباً ، ولا نبياً مرسلأ . وقوله عز وجل : " قل الروح من أمر ربي " قيل : من علم ربي . " وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً " أي : في جنب علم الله . قيل : هذا خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم . وقيل : خطاب لليهود لأنهم كانوا يقولون أوتينا التوراة وفيها العلم الكثير . وقيل : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم معنى الروح ، ولكن لم يخبر به أحداً لأن ترك إخباره به كان علماً لنبوته . والأول أصح ، لأن الله عز وجل استأثر بعلمه .

86 - قوله تعالى : " ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك " ، يعني القرآن . معناه : إنا كما منعنا علم الروح عنك وعن غيرك ، لو شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ، يعني : القرآن ، " ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً " .

87 - " إلا رحمةً من ربك " ، هذا استثناء منقطع معناه : لكن لا نشاء ذلك رحمة من ربك . " إن فضله كان عليك كبيراً " ، فإن قيل : كيف يذهب القرآن وهو كلام الله عز وجل ؟ قيل : المراد منه : محوه من المصاحف وإذهاب ما في الصدور . وقال عبد الله بن مسعود : اقرؤوا القرآن قبل أن يرفع ، فإنه لا تقوم الساعة حتى يرفع . قيل : هذه المصاحف ترفع ، فكيف بما في صدور الناس ؟ قال يسري عليه ليلاً فيرفع ما في صدورهم ، فيصبحون لا يحفظون شيئاً ولا يجدون في المصاحف شيئاً ، ثم يفيضون في الشعر . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل ، له دوي حول العرش كدوي النحل ، فيقول الرب مالك وهو أعلم ؟ فيقول : يا رب أتلى ولا يعمل بي .

88 - قوله جل وعلا : " قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله " ، لا يقدرُونَ على ذلك ، " ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً " ، عوناً ومظاهراً . نزلت حين قال

## سورة الإسراء

الكفار : لو نشاء لقلنا مثل هذا فكذبهم الله تعالى . فالقرآن معجز في النظم والتأليف والإخبار عن الغيوب ، وهو كلام في أعلى طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخلق ، لأنه غير مخلوق ، ولو كان مخلوقاً لأتوا بمثله .

89 - قوله عز وجل : " ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل " ، من كل وجه من العبر والأحكام والوعد والوعيد وغيرها ، " فأبى أكثر الناس إلا كفوراً " ، جوداً .

90 - قوله عز وجل : " وقالوا لن نؤمن لك " ، لن نصدقك ، " حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً " ، قرأ أهل الكوفة ويعقوب " تفجر " بفتح التاء وضم الجيم مخففاً ، لأن ينبوع واحد ، وقرأ الباقر بالتشديد من التفجير ، واتفقوا على تشديد قوله : " فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً " ، لأن الأنهار جمع ، والتشديد يدل على الكثير ، ولقوله ( تفجيراً ) من بعد . وروي عكرمة عن ابن عباس : أن عتبة وشيبة ابني ربيعة ، وأبا سفيان بن حرب ، والنضر بن الحارث ، وأبا البخري بن هشام ، والأسود بن عبد المطلب ، وزمعه بن الأسود ، والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام ، وعبد الله بن أبي أمية ، وأمية بن خلف ، والعاص بن وائل ، ونبيها ومنبها ابني الحجاج ، اجتمعوا ومن اجتمع معهم بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، فقال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه ، فبعثوا إليه أن أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك ، فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعاً ، وهو يظن أنه بدا لهم في أمره بدء ، وكان عليهم حريصاً ، يحب رشدهم حتى جلس إليهم ، فقالوا : يا محمد إنا بعثنا إليك لنعذر فيك وإنا والله لا نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وسفهت الأحلام ، وشتمت الآلهة ، وفرقت الجماعة فما بقي أمر قبيح إلا وقد جئته فيما بينك وبيننا ، فإن كنت جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جعلنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تطلب الشرف سودناك علينا ، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الأمر الذي بك رأيي تراه قد غلب عليك ، لا تستطيع رده ، بذلنا لك أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه ، أو نعذر فيك ، وكانوا يسمون التابع من الجن : الرئي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بي ما تقولون ، ما جئكم بما جئكم به لطلب أموالكم ولا الشرف عليكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً ، وأنزل علي كتاباً ، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ، فإن تقبلوا نبي فهو حظكم في الدنيا الآخرة ، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم . فقالوا : يا محمد إن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد أضييق منا بلاداً ولا أشد منا عيشاً ، فسل

## سورة الإسراء

لنا ربك الذي بعثك فليسير عنا هذه الجبال ، فقد ضيقت علينا ،  
ويبسط لنا بلادنا ويفجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ،  
وليبعث لنا من مضي من آبائنا ، وليكن منهم قصي بن كلاب ، فإنه  
كان شيخاً صدوقاً ، فنسألهم عما تقول : أحق هو أم باطل ؟ فإن  
صدقوك صدقناك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما  
بهذا بعثت ، فقد بلغتكم ما أرسلت به ، فإن تقبلوه مني فهو  
حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه أصبر لأمر الله . قالوا : فإن  
لم تفعل هذا فسل ربك أن يبعث لنا ملكاً يصدقك ، واسأله أن  
يجعل لك جناتاً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يغنيك بها عما  
نراك ، فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه . فقال  
: ما بعثت بهذا ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً . قالوا : فاسقط  
السماء كما زعمت ، إن ربك لو شاء فعل . فقال : ذلك إلى الله إن  
شاء فعل ذلك بكم فعله . وقال قائل منهم : لن نؤمن لك حتى  
تأتينا بالله والملائكة قبيلاً . فلما قالوا ذلك ، قام رسول الله صلى  
الله عليه وسلم وقام معه عبد الله بن أبي أمية ، وهو ابن عمته  
عاتكة بنت عبد المطلب ، فقال : يا محمد عرض عليك قومك ما  
عرضوا عليك فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أموراً يعرفون  
بها منزلتك من الله تعالى فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجل ما  
تخوفهم به من العذاب ، فلم تفعل ، فوالله لا أؤمن لك أبداً حتى  
تتخذ إلى السماء سلماً ترقى فيها وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي  
بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك بما تقول ،  
وايم الله لو فعلت ذلك لظننت أن لا أصدقك ، فانصرف رسول الله  
صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزينا لما رأى من مبادئهم  
، فأنزل الله تعالى : " وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من  
الأرض " يعني : أرض مكة " ينبوعاً " أي : عيوناً .

91 - " أو تكون لك جنة " ، بستان " من نخيل وعنب فتفجر الأنهار  
خلالها تفجيراً " ، تشقيفاً .

92 - " أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً " ، قرأ نافع و  
ابن عامر و عاصم بفتح السين ، أي : قطعاً ، وهي جمع ( كسفة  
) ، وهي : القطعة والجانب ، مثل : كسرة وكسر . وقرأ الآخرون  
بسكون السين على التوحيد ، وجمعه أكساف وكسوف ، أي :  
تسقطها طبقاً [ واحداً ] ، وقيل : أراد جانبها علينا . وقيل :  
معناه أيضاً القطع ، وهي جمع التكسير مثل سدره وسدر في  
الشعراء وسياً " كسفاً " بالفتح ، حفص ، وفي الروم ساكنة أبو  
جعفر ، وابن عامر . " أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً " ، قال ابن  
عباس : كقبلاً ، أي : يكفلون بما تقول . وقال الضحاك : ضامناً .  
وقال مجاهد : هو جمع القبيلة ، أي : بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة  
. [ وقال قتادة : عياناً أي : تراهم القايلة ] أي : معاينة . [ وقال  
الغراء : هو من قول العرب لقيت فلاناً قبيلاً ، وقبيلاً أي : معاينة

. [

93 - " أو يكون لك بيت من زخرف " أي : من ذهب ، وأصله الزينة ، " أو ترقى " ، تصعد ، " في السماء " ، هذا قول عبد الله بن أبي أمية ، " ولن يؤمن لرقبك " ، لصعودك ، " حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه " ، أمرنا فيه باتباعك ، " قل سبحان ربي " ، وقرأ ابن كثير وابن عامر " قال " يعني محمداً ، وقرأ آخرون على الأمر ، أي : قل يا محمد ، " هل كنت إلا بشراً رسولاً " ، أمره بتتزيهه وتمجيده ، على معنى أنه لو أراد أن ينزل ما طلبوا لفعل ، ولكن الله لا ينزل الآيات على ما يقترحه البشر ، وما أنا إلا بشر وليس ما سألتم في طوق البشر . واعلم أن الله تعالى قد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم من الآيات والمعجزات ما يغني عن هذا كله ، مثل : القرآن ، وانشقاق القمر ، وتفجير العيون من بين الأصابع وما أشبهها ، والقوم عامتهم كانوا متعنتين لم يكن قصدهم طلب الدليل ليؤمنوا ، فرد الله عليهم سؤالهم .

94 - قوله عز وجل : " وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا " ، جهلاً منهم ، " أبعث الله بشراً رسولاً " ، أراد : أن الكفار كانوا يقولون لن يؤمن لك لأنك بشر ، وهلا بعث الله إلينا ملكاً ؟ فأجابهم الله تعالى :

95 - " قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين " ، مستوطنين مقيمين ، " لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً " ، من جنسهم ، لأن القلب إلى الجنس أميل منه إلى غير الجنس .

96 - " قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم " ، أي رسول الله إليكم ، " إنه كان بعباده خبيراً بصيراً " .

97 - قوله عز وجل : " ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه " ، يهدونهم ، " ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم " . أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي ، أخبرنا الحسن بن شجاع الصوفي المعروف بابن الموصلي ، أنبأنا أبو بكر بن الهيثم ، حدثنا جعفر بن محمد الصائغ ، حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا سفيان عن قتادة عن أنس " أن رجلاً قال : يا رسول الله كيف يحشر الكافر علي وجهه يوم القيامة ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الذي أمشاه على رجليه قادر على أن يمشيه على وجهه " . وجاء في الحديث : " إنهم يتقون بوجوههم كل حذب وشوك " . " عمياً وبكماً وصماً " . فإن قيل : كيف وصفهم بأنهم عمي وبكم وصم . وقد قال : " ورأى المجرمون النار " ( الكهف - 53 ) ، وقال : " دعوا هنالك ثوراً " ( الفرقان - 13 ) ، وقال : " سمعوا لها تغيظاً وزفيراً " ( الفرقان - 12 ) ، أثبت الرؤية والكلام والسمع ؟ . قيل : يحشرون على ما وصفهم الله ثم تعاد إليهم هذه الأشياء . وجواب آخر ، قال ابن عباس : عمياً لا يرون ما

## سورة الإسراء

يسرهم ، بكماً ، لا ينطقون بحجة ، صماً لا يسمعون شيئاً يسرهم .  
وقال الحسن : هذا حين يساقون إلى الموقف إلى أن يدخلوا النار .  
وقال مقاتل : هذا حين يقال لهم : " اخسؤوا فيها ولا تكلمون " ( المؤمنون - 108 ) ، فيصيرون بأجمعهم عمياً وبكماً وصماً ، لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون . " مأواهم جهنم كلما خبت " ، قال ابن عباس : كلما سكنت ، أي : سكن لهيبتها . وقال مجاهد : طفئت وقال قتادة : ضعفت وقيل : هو الهدو من غير أن يوجد نقصان في ألم الكفار ، لأن الله تعالى قال : " لا يفتر عنهم " ( الزخرف - 75 ) ، وقيل : " كلما خبت " أي : أرادت أن تخبو ، " زدناهم سعيراً " ، أي : وقوداً . وقيل : المراد من قوله : " كلما خبت " أي : نضجت جلودهم واحترقت أعيدوا فيها إلى ما كانوا عليه ، وزيد في تسعير النار لتحرقتهم .

98 - " ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا إذا كنا عظاما ورفاتا أينا لمبعوثون خلقا جديدا " ، فأجابهم الله تعالى فقال :

99 - " أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض ، في عظمتها وشدتها ، " قادر على أن يخلق مثلهم " ، في صغرهم وضعفهم . نظيره قوله تعالى : " لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس " ( غافر - 57 ) " وجعل لهم أجلاً " أي : وقتاً لعذابهم ، " لا ريب فيه " ، أنه يأتيهم ، قيل : هو الموت ، وقيل : هو يوم القيامة ، " فأبى الظالمون إلا كفوراً " ، أي : جحوداً وعناداً .

100 - " قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي " أي : نعمة ربي . وقيل : رزق ربي ، " إذا لأمسكتم " ، لبخلتم وحبستم ، " خشية الإنفاق " ، أي : خشية الفاقة ، قاله قتادة . وقيل : خشية النفاق ، يقال : أنفق الرجل أي أملك وذهب ماله ونفق الشيء ، أي : ذهب . وقيل : لأمسكتم عن الإنفاق خشية الفقر . " وكان الإنسان فتوراً " ، أي : بخيلاً ممسكاً عن الإنفاق .

101 - قوله عز وجل : " ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات " ، أي : دلالات واضحات ، فهي الآيات التسع . قال ابن عباس والضحاك : هي العصا ، واليد البيضاء ، والعقدة التي كانت بلسانه فحلها ، وفلق البحر ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم . وقال عكرمة وقتادة و مجاهد و عطاء : هي الطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، والعصا ، واليد ، والسنون ، ونقص الثمرات . وذكر محمد بن كعب القرظي : الطمس ، والبحر بدل السنين ، ونقص من الثمرات ، قال : فكان الرجل منهم مع أهله في فراشه وقد صاراً حجرين ، والمرأة منهم قائمة تخبز وقد صارت حجراً . وقال بعضهم : هن آيات الكتاب . أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي ، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، أخبرني الحسن بن محمد الثقفي ، أخبرنا

## سورة الإسراء

هارون بن محمد بن هارون العطار ، أنبأنا يوسف بن عبد الله بن ماهان ، حدثنا الوليد الطيالسي ، حدثنا شعبة بن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن مسلمة ، عن صفوان بن عسال المرادي ، " أن يهودياً قال لصاحبه : تعال حتى نسأل هذا النبي ، فقال الآخر : لا تقل نبي ، فإنه لو سمع صارت له أربعة أعين ، فأتيه فسألاه عن هذه الآية : " ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات " فقال : لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تزنوا ، ولا تأكلوا الربا ، ولا تسحروا ، ولا تمشوا بالبريء إلى سلطان ليقتله ، ولا تسرفوا ، ولا تقذفوا المحصنة ، ولا تفروا من الزحف ، وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا في السبت ، فقبلا يده ، وقالوا : نشهد أنك نبي ، قال : فما يمنعكم أن تتبعوني ؟ قالوا : إن داود دعا ربه أن لا يزال في ذريته نبي ، وإنا نخاف إن تبعناك أن يقتلنا اليهود . " فاسأل " ، يا محمد " بني إسرائيل إذ جاءهم " ، موسى ، يجوز أن يكون الخطاب معه والمراد غيره ، ويجوز أن يكون خاطبه عليه السلام وأمره بالسؤال ليتبين كذبهم مع قومهم . " فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحوراً " ، أي : مطبوعاً سحروك ، قاله الكلبي . وقال ابن عباس : مخدوعاً . وقيل : مصروفاً عن الحق . وقال الفراء ، وأبو عبيدة : ساحراً ، فوضع المفعول موضع الفاعل . وقال محمد بن جرير : معطى علم السحر ، فهذه العجائب التي تفعلها من سحرك .

102- " قال " ، موسى ، " لقد علمت " ، قرأ العامة بفتح التاء خطاباً لفرعون ، وقرأ الكسائي بضم التاء ، ويروي ذلك عن علي ، وقال : لم يعلم الخبيث أن موسى على الحق ، ولو علم لآمن ، ولكن موسى هو الذي علم ، قال ابن عباس : علمه فرعون ولكنه عاند ، قال الله تعالى : " وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً " ( النمل - 14 ) . وهذه القراءة ، وهي نصب التاء ، أصح في المعنى ، وعليه أكثر القراء ، لأن موسى لا يحتج عليه بعلم نفسه ، ولا يثبت عن علي رفع التاء ، لأنه روي عن رجل من مراد عن علي ، وذلك أن الرجل مجهول ، ولم يتمسك بها أحد من القراء غير الكسائي . " ما أنزل هؤلاء " ، هذه الآيات التسع ، " إلا رب السموات والأرض بصائر " ، جمع بصيرة أي يبصر بها . " وإني لأظنك يا فرعون مثبوراً " ، قال ابن عباس : ملعوناً . وقال مجاهد : هالكاً . وقال قتادة : مهلكاً . وقال الفراء : أي مصروفاً ممنوعاً عن الخير . يقال : ما تبرك عن هذا الأمر أي ما منعك وصرفك عنه .

103 - " فأراد أن يستفزههم " ، أي : أرد فرعون أن يستفز موسى وبني إسرائيل ، أي : يخرجهم ، " من الأرض " ، يعني أرض مصر ، فأغرقناه ومن معه جميعاً " ، ونجينا موسى وقومه .

104 - " وقلنا من بعده " ، أي من بعد هلاك فرعون ، " لبني

## سورة الإسراء

إسرائيل : اسكنوا الأرض " ، يعني أرض مصر والشام ، " فإذا جاء وعد الآخرة " ، يعني يوم القيامة ، " جئنا بكم لقيفاً " أي : جميعاً إلى موقف القيامة . واللفيف : الجمع الكثير : إذا كانوا مختلطين من كل نوع ، يقال : لفت الجيوش إذا اختلطوا ، وجمع القيامة كذلك ، فيهم المؤمن والكافر ، والبر والفاجر . وقال الكلبي : ( فإذا جاء وعد الآخرة ) : يعني مجيء عيسى من السماء ( جئنا بكم لقيفاً ) أي : النزاع من كل قوم ، من هاهنا ومن هاهنا لغوا جميعاً .

105 - قوله عز وجل : " وبالحق أنزلناه وبالحق نزل " ، يعني القرآن ، " وما أرسلناك إلا مبشراً " للمطيعين ، " ونذيراً " ، للعاصين .

106 - " وقرآناً فرقناه " ، قيل : معناه : أنزلناه نجومياً ، لم ينزل مرة واحدة ، بدليل قراءة ابن عباس : " وقرآناً فرقناه " بالتشديد ، وقراءة العامة بالتخفيف ، أي : فصلناه . وقيل : بيناه . وقال الحسن : معناه فرقنا به بين الحق والباطل ، " لتقرأه على الناس على مكث " أي : على تودة وترتيل وترسل في ثلاث وعشرين سنة ، " ونزلناه تنزيلاً " .

107 - " قل آمنوا به أو لا تؤمنوا " ، هذا على طريق الوعيد والتهديد ، " إن الذين أوتوا العلم من قبله " ، قيل : هم مؤمنو أهل الكتاب ، وهم الذين كانوا يطلبون الدين قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أسلموا بعد مبعثه ، مثل : زيد بن عمر بن نفيل ، وسلمان الفارسي وأبي ذر وغيرهم . " إذا يتلى عليهم " ، يعني : القرآن " يخرون للأذقان " أي : يسقطون على الأذقان ، قال ابن عباس : أراد بها الوجوه ، " سجداً " .

108 - " ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً " ، أي : كائناً واقعاً .

109 - " ويخرون للأذقان يبكون " ، أي : يقعون على الوجوه يبكون ، البكاء مستحب عند قراءة القرآن ، " ويزيدهم " ، نزول القرآن ، " خشوعاً " ، خضوعاً لربهم . نظيره قوله تعالى : " إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً " ( مريم - 58 ) . أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي ، أخبرنا أبو عمرو بن بكر محمد المزني ، حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الجنيد ، حدثنا الحسن بن الفضل البجلي ، أخبرنا عاصم ، عن علي بن عاصم ، حدثنا المسعودي ، هو عبد الرحمن بن عبد الله ، عن عبد الرحمن مولى أبي طلحة عن عيسى بن طلحة عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري مسلم أبداً " . أخبرنا أبو القاسم بن عبد الكريم

## سورة الإسراء

بن هوازن القشيري ، أخبرنا أبو القاسم عبد الخالق بن علي بن عبد الخالق المؤذن ، أخبرنا أحمد بن بكر بن محمد بن حمدان ، حدثنا محمد بن يونس الكديمي ، أنبأنا عبد الله بن محمد الباهلي ، حدثنا أبو حبيب الغنوي ، حدثنا بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " حرمت النار على ثلاث أعين : عين بكت من خشية الله ، وعين سهرت في سبيل الله ، وعين غضت عن محارم الله " .

110 - قوله عز وجل : " قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن " ، قال ابن عباس : سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ذات ليلة فجعل يبكي ويقول في سجوده : يا الله يا رحمن ، فقال أبو جهل : إن محمداً ينهانا عن الهتنا وهو يدعو إلهين ! فأنزل الله تعالى هذه الآية . ومعناه : أنهما اسمان لواحد . " أيا ما تدعوا " ، ( ما ) صلة ، معناه : أياً ما تدعو من هذين الاسمين ومن جميع أسمائه ، " فله الأسماء الحسنى " . " ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها " ، أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي ، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي ، أنبأنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، أخبرنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا هشيم ، حدثنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله تعالى : " ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها " قال : نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختف بمكة ، كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به ، فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : " ولا تجهر بصلاتك " أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ، ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم : " وابتغ بين ذلك سبيلاً " . وبهذا الإسناد عن محمد بن إسماعيل قال : حدثنا مسدد عن هشيم عن أبي بشر بإسناده مثله ، وزاده : " وابتغ بين ذلك سبيلاً " . أسمعهم ، ولا تجهر حتى يأخذوا عنك القرآن . وقال قوم : الآية في الدعاء ، وهو قول عائشة ، رضي الله عنها ، والنخعي ، ومجاهد ، ومكحول : أخبرنا عبد الواحد المليحي ، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي ، أخبرنا محمد بن يوسف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا طلق بن غنام ، حدثنا زائدة عن هشام عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها في قوله : " ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها " قالت : أنزل ذلك في الدعاء . وقال عبد الله بن شداد : : كان أعراب من بني تميم إذا سلم النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : اللهم ارزقنا مالاً وولداً ، فيجهرون بذلك ، فأنزل الله هذه الآية : " ولا تجهر بصلاتك " أي : لا ترفع صوتك بقراءتك أو بدعائك ولا تخافت بها . والمخافتة : خفض الصوت والسكوت " وابتغ بين ذلك سبيلاً " أي : بين الجهر والإخفاء . أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي ، أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الخراعي ،

## سورة الإسراء

أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي ، حدثنا أبو عيسى الترمذي ، حدثنا محمود بن غيلان ، حدثنا يحيى ابن إسحاق ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن عبد الله بن أبي رباح الأنصاري ، عن أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر : " مررت بك وأنت تقرأ وأنت تخفض من صوتك ، فقال : إني أسمعت من ناجيت ، فقال : ارفع قليلاً ، وقال لعمر : مررت بك وأنت تقرأ وأنت ترفع صوتك ، فقال : إني أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان ، فقال اخفض قليلاً " .

111 - " وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً " ، أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يحمده على وحدانيته ، ومعنى الحمد لله هو : الثناء عليه بما هو أهله . قال الحسين بن فضل : يعنى : الحمد لله الذي عرفني أنه لم يتخذ ولداً . " ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدل " ، قال مجاهد لم يذل فيحتاج إلى ولي يتعزز به . " وكبره تكبيراً " ، أي : وعظمه عن أن يكون له شريك أو ولي . أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي ، أخبرنا الإمام أبو الطيب سهل [ بن محمد بن سليمان ، حدثنا أبو العباس الأصم ، حدثنا محمد بن يعقوب ، حدثنا محمد بن إسحاق الصغاني ، حدثنا نضر بن حماد أبو الحارث الوراق ، حدثنا شعبة ] عن حبيب بن أبي ثابت قال : سمعت سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء " . أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي ، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي ، أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح ، أخبرنا أبو الحسن بن بشران ، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار ، أخبرنا أحمد بن منصور الرمادي ، أنبأنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر عن قتادة أن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الحمد لله رأس الشكر ، ما شكر الله عبد لا يحمده " . أخبرنا أبو الفضل بن زياد بن محمد الحنفي ، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد الأنصاري ، أخبرنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد ، حدثنا يحيى بن خالد بن أيوب المخزومي ، حدثنا موسى بن إبراهيم بن كثير بن بشر الخزامي الأنصاري ، عن طلحة بن خراش ، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن أفضل الدعاء الحمد لله ، وأفضل الذكر لا إله إلا الله " . أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي ، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي شريح ، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ، حدثنا علي بن الجعد ، حدثنا زهير ، حدثنا منصور عن هلال بن بشار ، عن الربيع بن عميلة عن سمرة بنت جندب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أحب الكلام إلى الله تعالى أربع : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ، لا يضرك بأيهن بدأت " .

